المجلس الإسلامي العلمائي
Olamaa Islamic Council

حوزة المصطفى صلى الله عليه وآله
للدراسات الإسلامية التخصصية

مطارحات في الثورة الحسينية

بقلم/ الشيخ منير المعتوق

مطارحات في

الثورة الحسينية

هناك الكثير من الأسئلة والإشكاليات المرتبطة بشخص الإمام الحسين عليه السلام، وعلمه بالواقعة، والكثير من الاستفسارات الواردة في زماننا كمسألة اللطم على الصدور والبكاء على الحسين عليه السلام، ومدى استمرارية العزاء وجدواه.

في هذا الكتيِّب حاولت أن أطرح بعض التساؤلات في الثورة الحسينية، مع الإجابة عليها بشكل مختصر، بعيدًا عن التعقيد.

المجلس الإسلامي العلمائي

نرحب بتواصلكم معنا، وبكل ملاحظاتكم واقتراحاتكم:

مبنى ٤٠ ، طريق ٤٨ ، مجمع ٤٤٤ ، هاتف: ١٧٥٩٢٦٧٢ فاكس: ١٧٥٩٦٥٤٠ الإدارة النسويّة : تليفاكس: ١٧٥٩٢٦٧٣

حلة العبد الصالح، مملكة البحرين الموقع الإلكتروني: www.olamaa.net البريد الإلكتروني: info@olamaa.net

Olamaabh Olamaabh Olamaabh Olamaanet

مطارحات في
الثورة الحسينية

هُويَّة الكُتَيِّب

عـــنـــوان الكتيّب: مطارحات في الثَّورة الحسينيَّة

إصــــــــــــدار: المجلس الإسلاميّ العلمائيّ - حوزة المصطفى صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ للدِّراسات الإسلاميَّة التَّخصُّصيَّة

الـــمـــؤلِّــــف: الشَّيخ منير المعتوق

المراجعة والتَّدقيق: شعبة القلم

الـــطَّـــبـــعـــة: الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

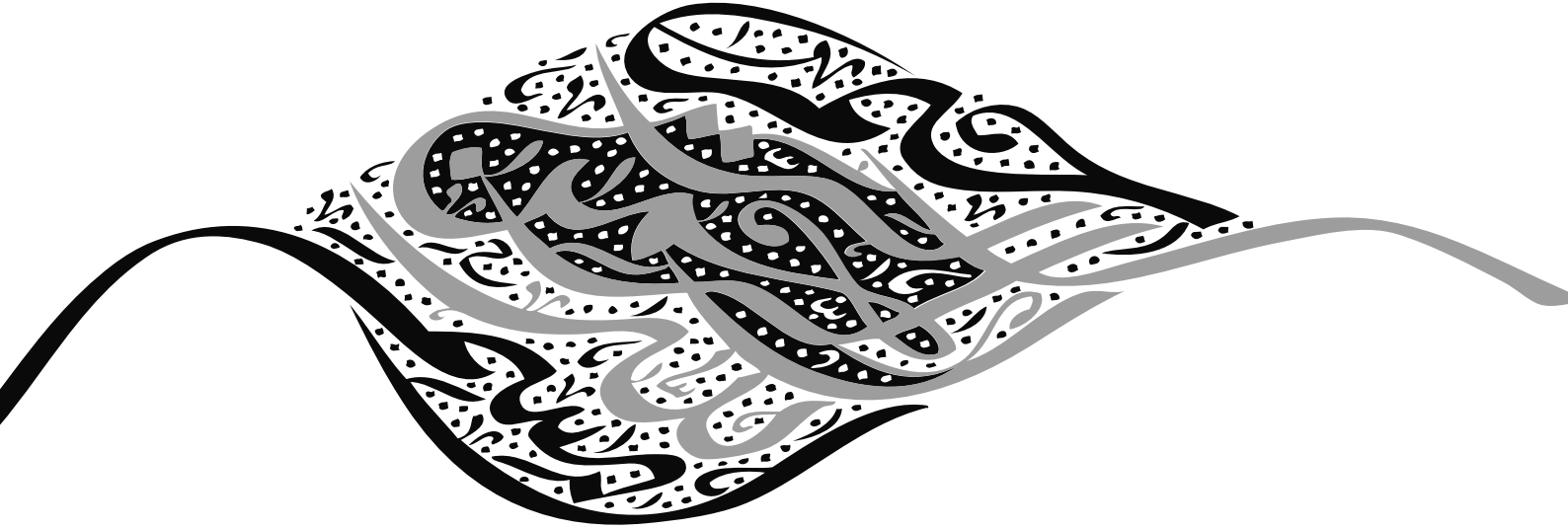

الفهرس

المقدمة ٥

إطلالة ٧

السؤال الأول: هل كان الحسين عليه السلام بادئًا بالمعارضة والثورة؟ ٨

- موت معاوية ١٠

السؤال الثاني: متى تمت دعوة أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام؟ ٢٣

السؤال الثالث: لماذا تأخر الإمام عليه السلام في الذهاب إلى الكوفة؟ ٢٧

السؤال الرَّابع: لماذا تخلّف بعض بني هاشم عن الالتحاق بالإمام الحسين عليه السلام كمحمد بن الحنفية؟ ٣٣

السؤال الخامس: هل كان مسلمٌ كفوءًا بالسَّفارة؟ ٤٢

- مسلم بن عقيل سفير الحسين عليه السلام ٤٣

- معنى السفير ٤٥

- التقارب الفكري ٤٦

- الإشكالية ٤٨

- أهمية الاختيار ٤٩

- قيمة الإنسان ٥٠

السؤال السَّادس: هل الإمام الحسين عليه السلام يعلم بالمصير الذي آل إليه؟ ٥٥

- وقفة تأمل ٧١

السؤال السابع: هل استعمل الإمام الحسين عليه السلام أساسيَّات الحوار؟ ٧٤

المقدمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

إنَّ رصد ومتابعة إنتاجات العلماءِ وطلَّاب العلوم الدِّينيَّة ومؤلَّفاتهم في البحرين هو أحد أولويَّات واهتمامات (حوزة المصطفى صلى الله عليه وآله للدَّراسات الإسلاميَّة التَّخصُّصيَّة) التَّابعة للمجلس الإسلاميِّ العلمائيِّ.

وتأتي هذه الرِّعاية تشجيعًا وتحفيزًا للكتَّاب والمؤلِّفين؛ لزيادة الإنتاج العلميِّ، وكذلك دعمًا للنَّهضة العلميَّة، وتعريفًا بالمجهود الحوزويِّ في البحرين محلِّيًّا وخارجيًّا.

وفي هذا السِّياق تُقدِّم حوزة المصطفى صلى الله عليه وآله للقرَّاء الأعزَّاء كتاب (مطارحات في الثَّورة الحسينيَّة) لسماحة الشَّيخ منير المعتوق (حفظه الله تعالى)، والذي يُجيب فيه على مجموعة من الأسئلة والشُّبهات حول حركة الإمام الحسين عليه السلام.

مع شكرنا الجزيل لسماحته حيثُ ساهم بمثل هذا الكتيِّب دعمًا لمشروع الحوزةِ الآنف الذِّكر.

حوزة المصطفى صلى الله عليه وآله
للدراسات الإسلامية التخصصية
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

إطلالة

بما أن الثورة الحسينية أصبحت محط أنظار التاريخيين، والمثقفين، والكتَّاب من المسلمين، وغيرهم باعتبارها الملحمة البارزة على مرّ التاريخ، كثُر من حولها التساؤل في موارد متعددة سواء من جهة عقائدية، أم ثقافية، أم غيرهما.

هناك الكثير من الأسئلة والإشكاليات المرتبطة بشخص الإمام الحسين عليه السلام، وعلمه بالواقعة، والأهداف والمعالم الأساس للثورة، كما أن هناك تساؤلات مرتبطة ببعض رجالات المدينة، بل ببعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ومدى تجاوبهم مع صاحب الثورة، وكذلك طبيعة الظروف السياسية آنذاك، ومدى قدرة المجتمع الكوفي على تحمل المسؤولية، وهكذا الكثير من الأسئلة والاستفسارات الواردة في زماننا كمسألة اللطم على الصدور والبكاء على الحسين عليه السلام، ومدى استمرارية العزاء وجدواه، وغيرها من الأسئلة.

في هذا الكتيِّب الذي بين يديك - عزيزي القارئ - حاولت أن أطرح بعض التساؤلات في الثورة الحسينية وبشكل مختصر، مع الإجابة عليها بشكل مختصر كذلك، بعيدًا عن التعقيد؛ حتى يتسنى للقارئ الكريم الاطلاع والمعرفة على بعض ما يرتبط بهذه الثورة الخالدة.

وقد استسقى هذا الكُتَيِّبُ بعضَ أوراقه من بعض مجالسنا الحسينيَّة، ولذا تجد فيه أسلوبًا خطابيًّا موضوعيًّا علميًّا مبسطًا.

فإليك عزيزي القارئ، الكُتَيِّب الذي أرجو أن ينال إعجابك، كما أسأل الله تعالى أن يجعله لي ذخرًا، وأن ينفعني في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الشيخ منير المعتوق

السؤال الأول

هل كان الحسين عليه السلام بادئًا بالمعارضة والثورة؟

إنَّ أول سؤال يواجهنا في الثورة الحسينية هو: هل الإمام الحسين عليه السلام هو الذي بدأ بالثورة، وهو الذي حمل راية المعارضة، وهو الذي حمل راية الرفض، أم أن الإمام عليه السلام لا يريد الثورة، ولا المواجهة، وإنما بنو أمية هم الذين جرّوه إلى المواجهة، وهم الذين فرضوا عليه المواجهة، وإلا فإن الإمام الحسين عليه السلام لا يريد الخروج على الحاكم آنذاك وهو يزيد بن معاوية؟

السؤال يحتوي على خيارين أساسيين في الثورة الحسينية، وكل من الخيارين فيه تأصيل فكري، ومنهج حياة للناس والمجتمع.

إنَّ اختيار أحد الخيارين معناه اختيار لمبدأ، واختيار لفكرة، واختيار لمنهج وخط تسير عليه الأمَّة.

هناك فئة من الناس والمجتمع بعلمائها ومفكّريها قد تبنّت الخيار الثاني، والتزمت به، وتفاعلت معه، وعملت به على جميع المستويات حيث قالت: إنَّ الحسين بن علي عليه السلام لم يثر، ولم يواجه، وإنما اضطر إلى الثورة؛ لأنَّ الإمام عليه السلام هو رجل السلام، والاستقرار، والأمن.

وهذه الفئة على قسمين:

إحداهما: أكثر أهل العامة من العلماء والمفكرين والشخصيات الذين ينطلقون من منطلق عقائدي، وفكرة دينية متأصلة عندهم لا سيما في زماننا، وهي عدم جواز الخروج والثورة ضد الحاكم وإنْ

كان ظالمًا؛ لأنه من أُولِي الأمر، ولا يجوز الخروج على ولاة الأمر.

وبالتالي قالوا: إنَّ الحسين عليه السلام لم يخرج، ولم يثر، ولم يحمل شعار الثورة والخروج، وإنما دافع عن نفسه حيث اضطروه إلى ذلك.

وهذه الفئة كذلك على قسمين، فمنهم مَن يُخطِّئ الإمام الحسين عليه السلام في هذه الثورة، وأنَّها ثورة غير سديدة، وغير محسوبة، ومنهم مَن لا يخطئ الإمام عليه السلام.

إلا أن الفئتين تشتركان في كون يزيد بن معاوية خليفة المسلمين، وهو ولي الأمر، ولا يجوز الخروج عليه.

لذلك فإن أصحاب هذه الفكرة وقفوا مع تناقضات كثيرة وإشكالات، وتساؤلات لا تعد ولا تحصى - لست بصدد طرحها ومناقشاتها -.

ثانيهما: فئة قليلة جدًّا ومعدودة على الأصابع قد تبنّوا هذه الفكرة نفسها، ولعل بواعثهم سياسية مرَّة، أو عدم الدقة مرَّة أخرى، هؤلاء يحسبون على التشيّع، فهم لا يخطِّئون الإمام الحسين عليه السلام، لأنهم يرون فيه العصمة الذاتية، فلم يقولوا بخطأ الثورة، ولا بخطأ الحركة التي قادها عليه السلام، وإنما قالوا بأن الإمام عليه السلام لم يثر، ولم يتحرك؛ من أجل الثورة ضد يزيد بن معاوية.

هذا القول لهذه الفئة القليلة مردود عليه لمَن تأمل في النهضة الحسينية حتى لو كان التأمل عابرًا.

إن أغلب المفكرين والمحققين من العلماء وغيرهم لا يرتضون هذا الرأي الفاسد - كما سوف نلاحظ فيما بعد -، وإن إثبات الرأي الأول - كما سيأتي - دليل على بطلان القول الثاني.

فالصحيح أن الإمام الحسين عليه السلام رجل ثورة، ورجل حركة ثورية إصلاحية، وصاحب معارضة انطلقت شرارتها في المدينة المنورة في سنة ٦٠ للهجرة النبوية.

موت معاوية

حكم معاوية حوالي اثنتين وأربعين سنة من عمره البالغ أكثر من سبعين سنة منذ أن عيّنه عمر بن الخطاب في السنة الثامنة عشرة من الهجرة واليًا على دمشق خلفًا لأخيه يزيد بن أبي سفيان الذي توفى فيمن توفي في طاعون عمواس إلى أن توفي معاوية بن أبي سفيان في سنة ستين للهجرة.[١]

قال ابن الأثير: «مات بدمشق لهلال رجب، وقيل للنصف منه، وقيل لثمان بقين منه، وكان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يومًا».[٢]

ثم أصبح يزيد بن معاوية حاكمًا بالوراثة بعد أن أوصاه أبوه معاوية ببعض الوصايا، وجعل من حوله بعض المستشارين الذين يظن معاوية أنهم أَكْفَاء يحُولون بين يزيد وبين حماقاته التي سوف يرتكبها.

---

(١) الإمام الحسين في المدينة المنورة، ص٣١٩، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ق، قم، مركز الدراسات الإسلامية.

(٢) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٢٤، دار إحياء التراث العربي.

وكانـت أهم وصاياه هي الوصية المشهورة التي ذكر فيها الحسين بـن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وقد ذكرها المؤرخون مثـل الطبري[١]، وابن الأثير[٢]، وكذلـك ذكرها الشيخ الصدوق قدس سره في أماليه ١٢٩[٣] بتفاوت بسيط عن الإمام الصَّادق، عن الإمام الباقر، عن الإمام السَّجَّاد عليهم السلام.

وجميـع المؤرخين ذكروا في الوصيـة أنَّ معاوية بن أبي سفيان قد أوصـى ابنه يزيد بالحسين خيرًا حيث قال: «وأما الحسين بن علي، فإنه رجـل خفيف، وأرجـو أن يكفيكه الله بمَن قتل أباه، وخـذل أخاه، وأنَّ له رحمًـا ماسَّـة، وحقًّـا عظيمًا، وقرابة مـن محمد، ولا أظـن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو أني صاحبه عفوت عنه»[٤]، مع غض النظر عن بعض عبارات هذه الوصية في الإساءة للإمـام الحسين عليه السلام، ومع غض النظر عن العـدد المذكور في الوصية في المصـادر التاريخية إلا أن الجميع يتفـق أن معاوية أوصى يزيد بعدم التهوّر واستخدام الشدة مع الإمام الحسين بن علي عليهما السلام.

وطبعًـا هذا لأسبـاب سياسية غير هذه الأسبـاب التي ذكرت في الوصية، - ولا أحتاج أن أدخل فيها -.

إلا أن يزيد الشاب البالغ من العمر آنذاك ٣٥ سنة المتهوّر الأحمق الـذي لا يفهم ألـف باء اللعب السياسية خالف ذلـك، واستخدم أسلوب

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٥٣٤، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢م.
(٢) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٢٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
(٣) أمالي الشيخ الصدوق، ٦٢٩، باب١٠، ح٥، ص١٩٣، ترتيب الأمالي، مؤسسة المعارف الإسلامية.
(٤) تاريخ الطبري، ج٤، ص٥٣٤، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ٢٠١٢م.

الشدة مع الإمام الحسين بن علي عليه السلام في رسالته التي بعثها إلى والي المدينة الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان ينعى فيها معاوية، ومعها كتاب آخر صغير قال فيه: «أما بعد، فخذ حسينًا، وعبد الله بن عمر، وابن الزبير بالبيعة أخذًا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام».[1]

تعبير شديد ممزوج بالعنف والتحدي والتهوّر، إلا أن التعبير الأكثر حماقة والأكثر خشونة ذاك الذي ذكره اليعقوبي «إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن علي عليه السلام، وعبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، فإنْ امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث إليّ برأسهيما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، والسلام»[2].[3]

هذا المنطق المتهوّر هو نفس المنطق الذي رآه مروان بن الحَكم عندما استشاره والي المدينة الوليد بن عُتبة حيث قال: «ابعث إليهم في هذه الساعة فتدعوهم إلى البيعة والدخول في طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وإن أبوا قدّمهم واضرب أعناقهم قبل أن يدروا بموت معاوية، فإنهم إنْ علموا ذلك وثب كل رجل منهم فأظهر الخلاف، ودعا إلى نفسه ...».[4]

---

(١) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٢٩- دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٤١، نشر دار صادر، بيروت.

(٣) راجع مقتل الخوارزمي، ص٢٦٢، دار الحوراء، ستجد هذا التعبير: «فمن أبى عليك منهم، فاضرب عنقه، وابعث إلي برأسه والسلام».

(٤) الفتوح ٥: ١٠ نقلاً عن الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنورة، ص ٣٤٠، الطبعة الأولى، قم مركز الدراسات الإسلامية - ١٤٢١ هـ ق.

مـن هنا قـام والي المدينة بإحضار الحسين بـن علي إلى قصره عندمـا بعث رسوله عبد الرحمن بن عمرو بـن عثمان بن عفان[1] وهما جالسـان، فأتاهمـا في ساعة لم يكـن الوليد يجلس فيهـا للناس، فقال: أجيبا الأمير، فقـالا: انصرف الآن نأتيه، وقال ابن الزبير للحسين: وما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟

فقال الحسين: أظـن أن طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا؛ ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر.

فقال: وأنا ما أظن غيره، فما تريد أن تصنع؟

قـال الحسـين عليه السلام: أجمـع فتيـاني الساعة، ثـم أمشـي إليه، وأجلسهم على الباب، وأدخل عليه.

قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت.

قال: لا آتيه إلا وأنا قادر على الامتناع.[2]

وفي كتـاب الفتـوح[3] تجـد هـذه في المحاورة إثـارة وأكـثر سعة وتفصيلًا.

وحـريٌّ بالشخصـ أن ينظر فيها بعين الدقة لمـا فيها من لفتات تستحق التوقف والتأمل فيها.

علـى أي حال: إنَّ الإمـام الحسين عليه السلام في نفس تلك الليلة، وفي

(١) ابن عساكر، ج٤، ص ٣٢٧، تحقيق: محمد باقر المحمودي، بيروت - لبنان.

(٢) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٣٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٣) الفتوح ٥: ١٠-١٣، نقلاً عن الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنورة، قم، مركز الدراسات الإسلامية، ٣٤٠.

ذات الوقت ذهب إلى بني هاشم، وقال: «إنَّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولستُ آمن أن يكلفني فيه أمرًا لا أجيبه إليه وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا، فادخلوا عليه؛ لتمنعوه مني».[1]

ثم ذهب الإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته، ومواليه، وشيعته إلى الوليد، فدخل عليه بعد أن أوقفهم على باب الوليد بن عتبة، فسلّم عليه فردّ عليه ردًّا حسنًا، ثم أدناه وقرَّبه، وكان مروان بن الحكم جالسًا هناك، فنعى الوليد للحسين عليه السلام معاوية، إلى أن قال الإمام الحسين عليه السلام: ولكن لماذا دعوتني؟

فقال: دعوتك للبيعة، فقد اجتمع عليه الناس.

فقال الحسين عليه السلام: «إنَّ مثلي لا يعطي بيعته سرًّا»، أو «مثلي لا يبايع سرًّا، فإذا دعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فكان أمرًا واحدًا».[2]

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان صادقًا في قوله - وحاشا للإمام أن يكون غير ذلك، وحاشا عليه أن يقول غير الصدق -، فإنَّه عليه السلام كان يريد أن يظهر موقفه من البيعة أمام الملأ من الناس حتى يعرفوا حقيقة الأمر، وما الذي يجري تحت الكواليس.

---

(١) الإرشاد «للشيخ المفيد»، ٢٢١، مصنفات الشيخ المفيد، ج١١، ج٢، من الإرشاد، ص٣٢، قم، إيران، الطبعة الأولى.

(٢) الطبري، ج٤، ص٥٤٩، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بتصرف.
والكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٣٠، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان.

لا يريد الإمام الهروب كما هرب ابن الزبير في نفس تلك الليلة خوفًا من مواجهة الوليد بن عتبة والي المدينة، وإنما الإمام عليه السلام أراد أن يظهر موقفًا مهمًّا وخطيرًا للغاية أمام المجتمع المدني عند حضورهم للبيعة، لا أن الإمام طلب ذلك؛ من أجل الفرار من ساحة المواجهة، والاختباء خلف الجدران.

وعلى كل حال اقتنع الوليد بذلك، فقال: أبا عبد الله، لقد قلت، فأحسنت في القول، فانصرف راشدًا على بركة الله حتى تأتيني غدًا مع الناس.

فقال مروان بن الحكم: أيُّها الأمير، إنْ فارقك الساعة، ولم يبايع لم تقدر منه على مثلها حتى تكثر القتلى بينكم، ولكن أحبِس الرجل حتى يبايع، أو تضرب عنقه.

فقال الحسين عليه السلام: يا ابن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟، كذبت وأثمت[1]، ثم أقبل على الوليد، وقال: «أيُّها الأمير، إنَّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا يختم، ويزيد شارب الخمور، وقاتل النفس المحترمة، معلنٌ بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة».[2]

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٥٤٩، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
والإرشاد للشيخ المفيد، مصنفات الشيخ المفيد، ج٢ من الكتاب، ص٣٣، قم - إيران، ط الأولى.
ولم يذكر الشيخ المفيد ما جرى بين الإمام الحسين عليه السلام والوليد والي المدينة في هذا النص الأخير كما ذكره غيره.
نعم ذكر هذه العبارة: «وخرج يمشي ومعه مواليه حتى أتى منزله».
(٢) اللهوف في قتلى الطفوف، ص١٠، ط٢، منشورات الرضي، قم، المطبعة الحيدرية في النجف.

لا بدَّ من التأمل في هذا الحوار الذي جرى بين الإمام الحسين عليه السلام وبين الوليد بن عتبة، ثم بين الإمام ومروان بن الحكم، ولذا أقف عند بعض الملاحظات المهمة:

الملاحظة الأولى

هذا الخطاب من الإمام الحسين عليه السلام إلى الوليد، خطاب ثورة وخطاب رفض، يحمل العنفوان، ومطالبة بالحق المضيّع، يحمل في جوهره حركة ثورية ورفضًا مطلقًا ليزيد، وتسلطه على الناس منذ أول لحظة، وهذا الخطاب فيه تصريح واضح للطعن في يزيد لا يشوبه شك ولا تمويه، وهو أول خطاب قاله الإمام الحسين عليه السلام للحكْم الأموي الجديد المتمثل في يزيد بن معاوية، ولم أجد خطابًا صريحًا وقويًّا للإمام عليه السلام قبل هذا الخطاب حتى أيام معاوية بن أبي سفيان الذي كان يرى فيها الإمام عليه السلام عدم التَّحرُّش بالسُّلطة، مع مآثرة الصبر.

لا مجال للصبر مع يزيد، ولا مجال للهدوء مع شارب الخمر، ولا مجال للتراضي والجلوس مع إنسان يعلن الفسق والفجور، ويقتل النفس المحترمة علنًا، ولا يبالي بالشريعة السمحاء أصلًا، وبالتالي لا بدَّ من الثورة والرفض والخروج ضد السُّلطة الأمويَّة، فأطلق الإمام عليه السلام فتيل الثورة الحسينية برفض البيعة، وطلب الخلافة وهو الحق الطبيعي الذي يجب أن يطالب به الإمام عليه السلام حيث قال عليه السلام: «... ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحق بالخلافة والبيعة».

فالإمام عليه السلام يرفض البيعة، ويطالب بالخلافة له عليه السلام، لأنه أحق بخلافة المسلمين مِن يزيد من جميع الجهات، وأنَّ يزيد بن معاوية غير مؤهل أصلًا من جميع الجهات لخلافة المسلمين.

لا يمكـن لأحـد أن يقول: إنَّ هـذا الخطاب ليـس بخطاب ثوري، وليس بخطاب حركي إصلاحي، ولا يمكن أن يدّعي أحد أن هذا الخطاب هو خطاب ليّن في وجه يزيد بن معاوية.

ولـذا قـال الإمـام الحسـين عليه السلام في وصيتـه لأخيـه محمد بن الحنفيـة: «إنِّي لم أخـرج أشـرًا، ولا بطرًا، ولا مفسـدًا، ولا ظالمًا، وإنما خرجـت لطلب الإصلاح في أمَّـة جدِّي رسول الله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدِّي وأبي».[1]

فقولـه عليه السلام «لم أخـرج» أي: إنني قد خرجـت لطلب الإصلاح، وأعطيـك هذه الوصية يـا أخي حتى أوضح لك أسبـاب الخروج والغاية الكريمة من هذه النهضة المقدسة.

الملاحظة الثانية

مـن الملاحـظ أنَّ الإمـام الحسـين عليه السلام قـد طلب مـن الوليد بـن عتبة تأجيـل وقت البيعة حـين دعوة النـاس إلى يوم غـد، وأنَّ مثل الإمـام عليه السلام لا يبايـع سرًّا، بـل وبيعته في السـر من المفترض أنها لا تنفـع والي المدينـة، والذي بـدوره قد استحسـن الفكـرة، وأذِن للإمام الحسين عليه السلام بالانصراف.

نحـن نقطع بـأنَّ الإمام عليه السلام لـن يبايع يزيد بـن معاوية أصلًا حتى لو حضر الاجتماع مع عامَّة الناس لا سيما أن الإمام عليه السلام لم يقل للـوالي: إني سوف أبايع غدًا، بل قـال له: «فإذا دعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم، فكان أمرًا واحدًا»، أي الدعوة أمر واحد.

(١) مقتل الحسين للمقرم، ص ١٣٩، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم - إيران.

إذًا ما هو الهدف المنشود من وراء هذا الطلب الذي قدمه الإمام الحسين عليه السلام على الوالي؟

حتمًا ليس السبب هو التخلّص من هذه الورطة بأي كيفية كانت ولو من هذا الباب - تأجيل الدعوة - حتى يكون عنده متَّسع من الوقت للخروج من المدينة، والهروب من هذا المأزق، وقد ذكرت قبل عدة سطور أنَّ هذا غير متصوَّر أصلًا في حق الإمام عليه السلام، ولو أراد أن يفعل هذا لما احتاج إلى الذهاب، ولهرب في نفس تلك الليلة كما هرب عبد الله بن الزبير!

الإمام عليه السلام عرض هذا العرض على الوالي؛ حتى يستثمر الإمام عليه السلام العامل الإعلامي والتبليغي في ذلك الاجتماع العام والذي ستُدْعى إليه الأمَّة للبيعة العلنيَّة ليزيد بن معاوية، وفضح يزيد أمام ذلك الجمع الحاشد، وتعريف الناس بفسقه ومجونه واستهتاره وحماقته، وعدم مبالاته بالدِّين الإسلامي.

أراد الإمام عليه السلام تحريض الأمَّة على رفض البيعة ليزيد، وأن يستنهضهم للثورة ضده، وأن يُعلم الأمَّة خطورة الوضع ممَّا يستدعي النهوض والخروج ضد يزيد بن معاوية.

كان الإمام الحسين عليه السلام يعلم أن هذه الخطوة لو تمت سوف يكون لها الأثر الكبير والإيجابي بنسبة معينة؛ لتعبئة الأمَّة ضد يزيد.

هذا هو الذي قد خطط إليه الإمام الحسين عليه السلام من قبل أن يذهب إلى الوالي؛ لأن الإمام قد علم بموت معاوية بن أبي سفيان، وكان

قـد علم بأن الـوالي سوف يدعوه للبيعة ليزيد في مثـل ذلك الوقت، فلم يكن الإمـام عليه السلام متفاجئًا بهذا الطلب - طلب البيعة - من قبل الوالي وهـو عليه السلام الذي قد قال لابن الزبير على رواية الفتوح: «إذًا أخبرك أبا بكـر، إنِّي أظن بأنَّ معاوية قد مات، وذلـك أني رأيت البارحة في منامي كأن منبر معاوية منكوس، ورأيت داره تشتعل نارًا، فأوَّلت ذلك في نفسي أنَّـه مـات»[1]، وهذه هـي البصيرة بنـور الإمامة الذي لا تمنعـه الموانع والحواجز.

لا يمكن للإمام عليه السلام أن يذهب إلى الوالي بدون أي تخطيط لمثل هـذا الأمر حتى لـو كان على مستوى الاحتمال، كيـف ذلك والإمام كان يعلم بموت معاوية، وسوف يطلبون منه البيعة ليزيد.

فهـل يمكـن لرجل بهـذا المستوى مـن الإيمان والدقـة في الأمور والحنكة السياسية والاجتماعية أن يذهب هكذا من دون تخطيط وتفكير للأحداث المستقبلية التي سوف تواجهه؟

الملاحظة الثالثة

يأمـل الإمـام الحسـين عليه السلام أن يتم الإعلان عـن رفضه لبيعة يزيد، وإعلان الثورة ضد حكومة بني أمية عند اجتماع أهل المدينة، ولكن مروان بـن الحكم الخبيث حال دون ذلك، إما لأنه قد فطن إلى خطورة

(١) الفتـوح، ص١٠، نقلًا عن الإمـام الحسين في المدينة المنورة، ص٣٤٠، ط١، قم - مركز مركز الدراسات الإسلامية.
ومقتل الخوارزمي، ص٢٦٤، دار الحوراء، بيروت - لبنان، مع شيئ يسير من الاختلاف.

نتائـج الطلب، وافتهم المخطـط الذي أراده الإمـام عليه السلام، وإما للغطرسة الأموية التي لا تقبل التأخير عند الطلب، وترى نفسها فوق هذه الأمور، وأن موقعها يجب أن يملي على الناس لا العكس، من هنا طلب مروان بن الحكم مـن الوالي أن يحبس الإمـام الحسين عليه السلام، ويأخذ البيعـة منه، وإن أبى يضـرب عنقه، الأمر الذي جعل الإمام يعجّل بالكشف عن موقفه ورأيه بكل صراحة في رفض البيعة، والمطالبة بالخلافة والثورة ضد يزيد بن معاوية.

إذًا خطـاب الإمـام عليه السلام في الإعلان عن موقفـه في مجلس الوليد بـدل الإعلان عنـه في الاجتماع الجماهـيري ليس ردة فعل لـكلام مروان، وإنما كان أمرًا مخططًا له.

نعـم موقـف مروان قـد عجّل بإعـلان موقف الإمـام عليه السلام، حيث لا بـدَّ للإمـام من إعـلان الموقف الرافض بعـد عرض مروان علـى الوليد بحبسـه حتى المبايعـة أو القتل، لاسيمـا أن أهل البيـت عليهم السلام لا يجاملون في مثـل هذه المواقف، ولا يستخدمون الحيلة والمكـر لأهدافهم النبيلة، وإلا بإمكان الإمام عليه السلام أن يرطّب الجوَّ، ويهدِّئ مروان، ويقف موقف المجامل مـع الوليـد؛ لأجل الهـدف المنشود والغايـة النبيلة وهو إعـلان الموقف يوم الاجتمـاع الجماهـيري الذي مـن المفترض أن يقوم بدعوتـه والي المدينة الوليد بن عتبة.

فلـم يستخدم الإمـام هـذا الأسلـوب المستهجـن والمستصغر عند الشرفاء والأحرار، كيف وهو أبو الأحرار، ولذا كان لزامًا على الإمام عليه السلام أن يبـين موقفه ورأيـه الرافض للبيعة والطالب بالخلافـة والثائر على بني أمية.

الملاحظة الرابعة

وهـي بمثابة سؤال مهم، فلو أن يزيد بـن معاوية لم يطلب البيعة مـن الإمام الحسين عليه السلام، هل كان الإمـام عليه السلام سيسكت عن حكومة يزيد، ويؤثِر القعود، وعدم القيام؟

لا بـدَّ من التأمل بدقـة ثاقبة للنهضة الحسينيـة، ودراسة جيدة ومتأنية للدافع الذي دفع الإمام الحسين عليه السلام للثورة ضد يزيد وحكومة بني أمية.

وبعبـارة أخـرى: لا بدَّ مـن دراسة عوامـل النهضـة الحسينية، والدوافـع الأساس التي دفعت الإمام عليه السلام للثـورة والتمرد ضد الطغاة من بني أمية.

وإنه بعد التأمل والتدقيق في دراسة تلك الأسباب والدوافع أعتقد أن الدافـع الوحيد لهذه الثورة، وأن العامل المؤثر في هذه النهضة والذي ينبغـي وضعـه عاملًا أساسًـا ووحيدًا فقـط وفقط هو الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي من خلاله ستكون عملية إصلاح الأمَّة، وهذا ما قالـه الإمام الحسين عليه السلام لمحمد بن الحنيفة في وصيته: «إنِّي لم أخرج أشرًا، ولا بطـرًا، ولا مفسدًا، ولا ظالمًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمَّـة جدِّي رسـول الله أريد أن آمـر بالمعروف وأنهى عـن المنكر، وأسير بسيرة جدِّي وأبي علي بن أبي طالب».[1]

(١) مقتل الحسين للمقرم ص ١٣٩، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم - إيران.

الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر هـو السبب الأساس، وهو العامل الرئيس، وهو الدافع الوحيد الذي يُعطي لهذه النهضة جدارتها، ومكانتها، وموقعها الذي يليق بها حتى تبقى دائمًا مشعَّةً ومشرقة على جبهة التاريخ، وخالدة أبدًا لا نظير لها في العالم كله.

وهل تحتاج النهضة الحسينية إلى سبب أفضل من هذا السبب؟، و إلى غـير هذا الواقـع؟، وإلى عامل أشرف من هذا العامـل؟، والحال أنَّ الفسـاد قد عـم البلاد، وحـلال الله صار حرامًـا، وحرامه حـلالًا، وبيت المـال أصبح بأيدٍ غير أمينة، الأمر الذي جعل الإمام يقرر المواجهة والثورة والخـروج ضد السلطـة، ولهذا دائمًـا وأبدًا نقف بين يـدي الإمام عليه السلام، ونقرأ هذه الفقرة الخاصـة: «أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك اليقين ...».[1]

يقـول الأستـاذ الشيـخ مرتضى المطهـري: «عامل الأمـر بالمعروف والنهـي عـن المنكر هـو العامل الـذي يستنـد إليـه أبو عبـد الله الحسين بصراحة قولًا وعملًا، فتراه عليه السلام يبني أساس نهضته وقيامه على أحاديث النبـي صلى الله عليه وآله، والأهداف المعلنـة لنهضته والتي يذكر فيهـا مرارًا بالنص مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودون أن يأتي على ذِكر البيعة، أو دعوة أهل الكوفة وكتابتهم الكتب إليه».[2]

---

(١) راجع مفاتيح الجنان، زيارة وارث، الشيخ عباس القمي، ص٥٠٢.

(٢) الملحمة الحسينية، ج٢، ص٣٣، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ط٢، ١٤١٣هـ.

مـن هنا، فإنَّ الإمام عليه السلام قد اعتمد على هذا الأمر، وعلى هذا الأساس كان في حركتـه ونهضته وبالتالي، فإن جميع الأسباب والعوامل - إن وجـدت - ترجع إلى هذا السبب والدافع، وليس هناك عامل ودافع في قبال هذا العامل، أو قسيم لهذا العامل.

من هنا أقول: طلب من الإمام عليه السلام البيعة، أم لم يُطلب، سكتوا عن الإمام أم لم يسكتوا، فإنه عليه السلام لن يسكت على الإطلاق عن حكومة يزيـد بـــن معاويـة؛ لأن طلب البيعـة، ورفض الإمـــام عليه السلام لها ليس هدفًا، ولا دافعًا للثورة الحسينية، ومـا هو إلا مرحلة من مراحل الحركة ليس إلا.

أي أن طلـب البيعة مؤثر في التوقيـت، ومؤثر في سرعة الحركة، ومؤثـر في بعض القضايـا والظـروف إلا أنه ليـس دافعًا، وليـس سببًا للنهضة.

فلو لم يطلب يزيد مـن الإمام الحسين عليه السلام البيعة، فإن الإمام لن يسكت لوجود الظلم والجـور والفساد المنتشر في بلاد الإسلام الذي يستدعي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

السؤال الثاني

متى تمت دعوة أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام؟

هل يمكن القـول: إنَّ دعوتهم عامل من عوامل النهضة كما يراه الشهيد المطهري، أم عامل في مسار النهضة الحسينية؟

مـن الأمور التي لا إشكال فيها في تاريخ النهضة الحسينية أن دعوة أهـل الكوفة جاءت متأخرة عـن حركة الإمـام عليه السلام الإصلاحية حيث إنَّ ثورة الإمام عليه السلام انطلقت من المدينة - كما أسلفت توضيح ذلك -.

وأما دعوة أهل الكوفة للإمام عليه السلام كانت عندما كان الإمام عليه السلام في مكـة، حيث بعث أهل الكوفة الكتـب إلى الإمام بدعوته للعراق، وبالتالي يستحيل أن تكون دعوة أهل الكوفة دافعًا لحركة الإمام، وعاملًا من عوامل النهضـة الحسينيـة؛ لأنه - كمـا ذكـرت -: إن العامل الأساسـ، والسبب الرئيسـ لحركة الإمام الإصلاحيـة الثورية هـو الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر.

وأعتقـد أن الشهيد المطهـري عندمـا قال في بعضـ كلماته أن دعوة أهـل الكوفة عامـل من عوامل النهضـة،[1] حتمًا لا يريـد أن يعتبره عاملًا أساسًا في النهضـة، وسببًا رئيسًا فيها كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بـل إن بعض كلماته تنفـي أن تكون دعوة أهل الكوفة سببًا في النهضة، ولذا يقـول المطهري: «فدعوة أهل الكوفة ليست هي السبب في تكوّن النهضة، بل إن نهضـة الإمام هي التي أوجدت، أو سببـت أن يقدم أهل الكوفة دعوتهم للإمـام، فلم تأتِ حركة الإمـام من بعد وصول دعوة أهـل الكوفة إليه، بل إن الواقـع يقول بأنه وبعد ما شرع الإمام في تحركه، وأظهر معارضته سمع أهل الكوفـة بقيام الإمام وتحركه، ولما كانت الظروف عندهم مهيأة نسبيًّا تداعى أهل البلاد للاجتماع، وقرروا الكتابة للإمام ودعوته».[2]

(١) الملحمة الحسينية، ج٢، ص٢٩، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ط٢ ١٤١٣هـ.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠.

فالشهيد المطهري لا يرى دعوة أهل الكوفة سببًا وعاملًا لنهضة الإمام عليه السلام، كيف لا والكتب التاريخية واضحة في هذا المجال، يقول ابن الأثير: «ولما بلغ أهل الكوفة موتُ معاوية، وامتناعُ الحسين، وابن عمر، وابن الزبير عن البيعة أرجفوا بيزيد، واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صُرد الخزاعي، فذكروا مسير الحسين إلى مكة، وكتبوا إليه عن نفر، منهم: سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيّب بن نجية، ورفاعة بن شدّاد، وحبيب بن مظاهر، وغيرهم...».[1]

إذًا لا غبار على أن دعوة أهل الكوفة كانت متأخرة، فيستحيل أن تكون عاملًا وسببًا لحركة الإمام عليه السلام، بل كما قال المطهري: إن الحركة هي السبب في دعوة أهل الكوفة.

نعم تعتبر هذه الدعوة من قبل أهل الكوفة عاملًا رئيسًا في تحديد وجهة حركة الإمام عليه السلام ومساره، حيث إنَّ الإمام خرج من المدينة إلى مكة؛ من أجل تبليغ الثورة، وتوسيع رقعة المعارضة، بل ليس للإمام عليه السلام نيّة البقاء في مكة والمكوث فيها إلى الأبد، وإنما تعتبر مكة محطة من المحطات المهمة؛ لتبليغ الثورة ضد يزيد بن معاوية لا سيما في موسم الحج الآتي، والذي يأتيه من كل أنحاء العالم الإسلامي آنذاك، ولذا ينقل ابن الأثير: «لما خرج الحسين من المدينة إلى مكة لقيه عبد الله بن مُطيع، فقال له: جُعلت فداك، أين تريد؟

قال: أمّا الآن فمكة، وأمّا بعد فإني أستخير الله».[2]

(١) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٣٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
(٢) المصدر نفسه، ٢، ص٥٣٣.

الحركـة بعد مكة خاضعة للظروف السياسية، والأوضاع التي سوف تفرزهـا حركة أبي عبـد الله عليه السلام، وكما ذكـرت أن النتائج بعد ذلك هي دعـوة أهل الكوفة حيث قالوا فيما قالوا: «... وأنـه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمـع معه في جُمُعه ولا عيد، ولو بَلَغنـا إقبالك إلينا أخرجناه حتى نُلحقه بالشـام إن شـاء الله تعالى، والسـلام عليك ورحمـة الله وبركاته»[1]، وإن آخـر كتاب وصل للإمام الحسين عليه السلام من مجموعة منهم شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث وغيرهم قالوا: «إنَّ الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعَجَل العَجَل يا ابن رسول الله، اخضرَّ الجَناب، وأينعت الثمـار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فأقـدم إذا شئت، فإنما تقدم على جند لك مجندة».[2]

هـذه الكتـب وغيرهـا وصلـت للإمـام الحسين عليه السلام بعـد قدومه علـى مكـة، ولا توجد أي رسائل وصلته قبل ذلـك، وما ذكر في وصول بعض الرسائل لدى الإمام عليه السلام عندما كان في المدينة فغير صحيح.

والخلاصـة: إن دعوة أهل الكوفة حـددت مسار الحركة الحسينية، وحـددت وجهـة حركـة الإمام عليه السلام بعـد أن كانـت غير معروفـة بحسب الظـروف السياسيـة وإنْ كانـت هـي معروفة بحسـب البعـد المعنوي لدى الإمام عليه السلام.

فأستطيـع أن أقـول: إن العامـل الوحيـد في تحديد مسـار الحركة الحسينية، وانفرادية الجهة والموقع والمكان هو دعوة أهل الكوفة.

---

(١) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

(٢) المقرَّم مقتل الحسين، ص١٤٤، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم - إيران.

والإمـام عليه السلام بعد هـذه الدعوة من جهة، وبعـد أن كان قد قرر عـدم البقاء في مكة من جهة أخرى، فإنـه عليه السلام قد حدد الموقع والمكان والمسـير الـذي سوف يسير إليـه، والطريق الذي سـوف يسلكها، والبلد الذي سوف يتوجه إليه بعد مكة المكرمة.

قبْل دعوة أهل الكوفة لم تتضح المعالم، ولم يُرسم شيءٌ في الأفق، ولم تُحدد مسير حركة النهضة الحسينية.

أمـا بعد هذه الدعوة، فقد تحـدد الطريق، وتحدد المكان والمسير الذي سوف يسلكه وهو العراق وتحديدًا الكوفة عاصمة الدولة الإسلامية في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

السؤال الثالث

لماذا تأخر الإمام عليه السلام في الذهاب إلى الكوفة؟

قـد يقـال: إن الإمام الحسين عليه السلام قد استبطـأ في إجابة دعوة أهـل الكوفة، إذ لـو استجاب الإمام عليه السلام إلى هذه الدعوة بلا مقدمات لوصـل حتمًا قبل عبيـد الله بن زياد، وبالتالي سـوف يسيطر هو عليه السلام على الأمور ولما ساءت الأحوال والأمور عند وصول ابن زياد إليها.

والسؤال دقيقًا: لماذا تأخّر الإمام الحسين عليه السلام في الذهاب إلى أهل الكوفة الذين وصلت رسائلهم في وقت مبكّر؟

للإجابـة على هـذا التساؤل المهـم لا بدَّ من مقدمـة بسيطة لها ارتباط وثيق بالجواب، ألا وهي: إن أهل الكوفة مع مالهم من الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وحبّهم الشديد للإمام الحسين عليه السلام وما يمثلونه من قوة رادعة لأهل الشام حيث اعتمد عليهم أمير المؤمنين عليه السلام «إنَّ فيها جند

الله» إلا أنَّ لهم مواقف متخاذلة في الحرب أو السلم، في أثناء الحرب أو بعدها حتى اشتهر بين الناس هذا الخذلان والغدر[1] من قبل أهل الكوفة.

ولذا قال عبد الله بن مُطيع العدوي حين لقائه بالإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى مكة: «فإذا أتيت مكة، فإياك أنْ تقرب الكوفة، فإنها بلدة مشؤومة، بها قُتل أبوك، وخُذل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه ...».[2]

ولما أراد الإمام عليه السلام بعد ذلك الذهاب إلى الكوفة بعد دعوتهم الإمام عليه السلام قد اعترض عليه البعض مثل عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وقد قال من ضمن ما قاله: «قد بلغني أنك تريد العراق، وإني مشفق عليك أنك تأتي بلدًا فيه عماله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك مَنْ وعدك نصره ومَنْ أنت أحب إليه ممَّن يقاتلك معه[3]، وهذا هو ما تحقق بالفعل حيث قاتله مَن كتب إليه النصرة.

وهكذا قال له عبد الله بن عباس الصحابي الجليل: «يا ابن عم، إني أتصبّر ولا أصبر، إني أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إنّ أهل العراق قوم غُدّر فلا تقربهم ...»[4]، وكذلك محمد بن الحنفية قال إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال: «يا أخي، إن أهل الكوفة مَن قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن

(١) للاطلاع أكثر يمكن مراجعة الكتب التاريخية في هذا المجال.

(٢) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٣٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص٥٤٦.

يكـون حالـك كحال من مضـى، فإن رأيـت أن تقيم، فإنـك أعز من في الحرم وأمنعه».[1]

هـذه نمـاذج مـن بعض الشخصيـات التـي بيّنـت للإمـام الحسـين عليه السلام موقفهـا اتجاه أهل الكوفة ورأيهـا في أهلها، حيث اتفق الجميع على الغدر والخذلان، وأن أهلها لا يُطمأن إليهم حال النزال، وإن كلامهم لا يُوثق به مهما كان، فهم الفئة المتخاذلة التي عُرفت بالغدر.

وإن البعض ممَّن اعترض على الإمام الحسين عليه السلام لم يعترض علـى قيام الإمـام عليه السلام في أصل ثورتـه والقيام على يزيـد بن معاوية، وإنما اعترض على خروج الإمام إلى الكوفة لمعرفتهم بأهل الكوفة الذين هـم «أهل غدر ونفـاق» كما قالـت العقيلة في خطبتها لأهـل الكوفة بعد مقتل الحسين عليه السلام.

إنَّ هـذا الاعتراض وهـذه النظرة كانـت ترتكز علـى حسابات النصـر الظاهـري وشرائطـه ولوازمـه، ولذلك كلامهـم صحيح، وقد تحقق ما قالوه وكان الإمام عليه السلام مدركًا تمام الإدراك إلى هذه المسألة، وليـس عليه السلام أقل من أولئـك الذين اعترضوه، بل هـو أدراهم وأعلمهم وأفهمهـم على الإطلاق إلا أن الإمام عليه السلام نظرته أبعد من أولئك النفر الذين اعترضوه في الخروج إلى أهل الكوفة.

وعلى كل حال: إنَّ المسألة التي أريد أن أصل إليها في هذه المقدمة البسيطـة هـي: إنَّ أهل الكوفـة قد عُرفـوا بالغدر والخـذلان والمراوغة

(١) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس، ص١٢٧، المطبعة الحيدرية في النجف، الطبعة الثانية.

والنفاق - في ذلك الزمان طبعًا -.

من هنا، فإن الإمام الحسين عليه السلام لا يمكن أن يستجيب إليهم مباشرة ويذهب إليهم بمجرد وصول تلك الرسائل إليه بدون معرفة أوضاعهم وأحوالهم ومدى صمودهم، بل ومعرفة أعدادهم، ولذا لا بد من التأكّد من رأيهم الذي كتبوه ومعرفة أحوالهم، ومدى قدرتهم على الصمود والمواجهة بحسب الظاهر، ولذا مباشرة نرى الإمام عليه السلام قد أرسل إليهم مسلم بن عقيل، وكان معه قيس بن مسهر الصيداوي، وقد خاطبهم الإمام عليه السلام قائلًا: «... وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي مسلم بن عقيل بن أبي طالب وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وخبركم ورأيكم ورأي ذوي الحجى والفضل منكم، وهو متوجه إليكم إنْ شاء الله ولا قوة إلا بالله، فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فقوموا مع ابن عمي وبايعوه، ولا تخذلوه ...».[1]

لا بد للإمام عليه السلام قبل أن يذهب أن يعرف حقيقة الأمر وطبيعة المسألة أكثر فأكثر ومدى المصداقية الواقعية عند الرأي العام الكوفي، وهذا واضح كل الوضوح من قول الإمام عليه السلام: «...أن يكتب إليّ بحالكم وخبركم ورأيكم ورأي ذوي الحجى والفضل منكم» إذ لا بد من معرفة كبار القوم والرؤوس الكبيرة في المجتمع الكوفي.

إذًا الأمر الطبيعي أن لا يذهب الإمام عليه السلام أولًا، بل لا بد من أن يبعث رسولًا قبله، ليستطلع الأمر بحيث لا يكون هناك تباطؤ في الأمر لا

(١) الفتوح، ٥: ٣٥، نقلًا عن الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، نجم الدين الطبسي، ص٤٥، ج٢، مركز الدراسات الإسلامية.
ومقتل الخوارزمي، ص٢٨٤، دار الحوراء، تحقيق: الشيخ محمد السماوي.

مـن قبل الإمام عليه السلام، - وحاشـاه أن يفعل ذلك -، ولا من قبل الرسول المبعـوث، لذا نجـد الإمام عليه السلام يخاطـب مسلمًا بن عقيـل، ويقول له: «إنِّي موجهـك إلى أهـل الكوفة ...» إلى أنْ قال: «فـإن رأيتهم مجتمعين علـى بيعتي، فعجّل علي بالخبر حتى أعمل على حساب ذلك إن شاء الله تعالى، ثم عانقه الحسين عليه السلام وودّعه وبكيا جميعًا».[1]

فالإمـام عليه السلام يطالب مسلمًا بالتعجيل من قبل مسلم والمسارعة في الأمـر، لأنَّ الوضـع لا يحتمـل التأخـير والأمَّـة على وَجَلٍ مـن أمرها وشأنها وهي تنتظر الإمام عليه السلام بفارغ الصبر.

إضافة إلى نكتة مهمة في المقام وهي أن الإمام عليه السلام لو ذهب إلى أهل الكوفة، واستجاب لهم مباشرة سواء وصل قبل ابن زياد أم لم يصل وآلـت الأوضـاع إلى الانقلاب على الإمـام عليه السلام لأي سبب كان، فسوف يلام الإمـام عليه السلام ويتهم بعدم التريّث، واستكشـاف الأمور والأوضاع، وسـوف يتهم بالتسـرّع وعدم الحنكـة السياسية والاجتماعيـة وما إلى هنالـك مـن التهم التـي سوف تنهال علـى الإمام عليه السلام بسبـب أو دون سبـب، بل سوف يكون الحق مع أولئك الذيـن سيرمون الإمام بوابل من التهم، إلا أن تصرّف الإمام عليه السلام وحنكته والأبعاد الواقعية والظاهرية التـي يتحلى بهـا عليه السلام فوّت كل ذلك على الأعـداء والمتصيدين في الماء العكر.

(١) الفتوح ٥: ٦٣، نقلًا عن الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، نجم الدين الطبسي، ص٤٥، ج٢، مركز الدراسات الإسلامية.
ومقتل الخوارزمي ١: ١٩٦، ص٢٨٤، دار الحوراء، تحقيق: الشيخ محمد السماوي.

يضاف إلى كل ذلك هذا التساؤل: مَن الذي يقول: إن الإمام الحسين عليه السلام لو انطلق نحو الكوفة بدل مسلم بن عقيل سوف يصلها قبل عبيد الله بن زياد، حيث إن المتصوّر آنذاك بمجرد تحرك الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى الكوفة سوف يتغير الوضع بطبيعة الحال، وسوف يقوم أذناب بني أمية بإرسال الرسائل إلى يزيد؛ لأخذ الحيطة والحذر، واتخاذ التدابير والحيلولة دون وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة مما يستدعي بإسراع اتخاذ الإجراءات الاحترازية التي من ضمنها إرسال عبيد الله بن زياد أسرع بكثير من الإمام عليه السلام، لأن الإمام عليه السلام معه بنو هاشم، وبعض أصحابه والنساء والأطفال، فسوف تكون الحركة بطيئة بالقياس إلى حركة عبيد الله بن زياد.

هذا فضلًا من أن تواجد الإمام عليه السلام - أيها القارئ الكريم - في مكة ومجيئه إليها والمكث فيها كان؛ من أجل توسيع رقعة الثورة وضم أكثر عدد من رجالات المسلمين في هذه الحركة الإصلاحية، فالغرض ليس عبثيًّا، وإنما وفق خطة مدروسة ومخطط لها من قبل صاحب الثورة، وضم الرجال لهذه الثورة تحتاج إلى أرضية جيدة، ولا شك أن موسم الحج يعتبر أرضية خصبة للتبليغ ضد بني أمية، وفرصة كبيرة؛ لاتساع رقعة الثورة من خلال ذلك الخليط من الرجال والنساء من أنحاء العالم الإسلامي آنذاك.

وبالتالي، فإن سفر الإمام عليه السلام قبل الموسم بشهرين يفوّت هذا الغرض العقلائي لا سيما مع وجود البديل لهذا السفر لأهل الكوفة الذين كانوا ينتظرون الإمام الحسين عليه السلام بفارغ الصبر.

وزبدة المخاض: إنَّ حركة الإمام عليه السلام لم تكن متأخرة، بل هي

حركة طبيعية مدروسة من خلال إجراءاتها وأمورها ومراسليها والكتب المتداولة بين رجل الثورة، وبقية العظماء الذين اعتمد عليهم الإمام عليه السلام من بداية النهضة إلى نهايتها.

السؤال الرَّابع

لماذا تخلّف بعض بني هاشم عن الالتحاق بالإمام الحسين عليه السلام كمحمد بن الحنفية؟

فهل كان محمد بن الحنفية له رأي مخالف للإمام عليه السلام في النهوض والثورة، أم في توجهه إلى أهل الكوفة؟، وكذلك عبد الله بن جعفر رضي الله عنه.

لم أعثر على مأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بصدد علة تخلّف محمد بن الحنفية رضي الله عنه عن الالتحاق بالإمام الحسين عليه السلام، ولتوضيح الجواب أكثر دقة وأعمق لا بدَّ من ذِكر نقطتين أساسيتين:

النقطة الأولى: اشتهر محمد بن الحنفية بلقب أمِّه خولة الحنفية فعُرف بـ «ابن الحنفية»، وأبوه أمير المؤمنين عليه السلام، وكنيته أبو القاسم، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقذفه في لهوات الحروب، ويعتمد عليه في المواجهة، ولم يتخلّف أصلاً عن أبيه عليه السلام، وهكذا كان معتقدًا بإمامة الحسن والحسين عليهما السلام ولم ينقل لنا التاريخ اعتراض ابن الحنفية عليهما في أي أمر من الأمور بما فيها الحركة الإصلاحية والثورة الحسينية، وكان معتقدًا تمام الاعتقاد بإمامة زين العابدين عليه السلام، كيف لا وهو مَن تربى في حجر عليّ عليه السلام، وسمع الروايات منه.

وأمَّـا ما حـدث في نقاشه مع الإمام زين العابدين عليه السلام كان ذلك؛ مـن أجل ثنـي الناس عنـه، وإبعادهـم؛ لأن البعض ادَّعى فيـه الإمامة ولا خلاص لهـذا الإدعاء إلا بحجـة ظاهرية، والاحتجاج الـذي أتى به الإمام زين العابدين عليه السلام، والذي كان من صنع محمد بن الحنفية - في اعتقادي -؛ لأجل إقناع الناس بإمامة ابن أخيه.

وكان محمـد بـن الحنفيـة رضي الله عنه قـد قدّم رأيـه بين يـدي الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنورة.[1]

ثـم تحـرك من المدينـة إلى مكة للقـاء الإمام الحسـين عليه السلام قبل خروجه إلى العراق، وفعلًا التقى بأخيه في مكة في الليلة الأخيرة التي خرج الإمـام عليه السلام في صبيحتها من مكة كما ذكر ذلك السيد ابن طاووس قدس سره، والرواية مروية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: سار محمد بن الحنفية إلى الحسـين عليه السلام في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال: يا أخـي، إن أهل الكوفـة من قـد عرفت غدرهـم بأبيـك وأخيك، وقد خفت أن يكـون حالـك كحال من مضى، فـإن رأيت أن تقيـم، فـإنك أعز من في الحرم ... .

فقال عليه السلام: يا أخي، قد خفت أن يقتلني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت.

فقـال له ابـن الحنفية: فإن خفت ذلـك، فسر إلى اليمـن، أو بعض نواحي السير، فإنك أمنع الناس، ولا يقدر عليك أحد.

فقال عليه السلام: أنظر فيما قلت.

ولما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه، فأخذ

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد، مصنفات الشيخ المفيد، ج١١، ج٢ من الكتاب، الطبعة الأولى، ص٣٤، قم - إيران.

زمام ناقته التي ركبها، فقال له: يا أخي، ألم تعدني النظر فيما سألتك؟

قال عليه السلام: بلى

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

فقال عليه السلام: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، اخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً.

فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟

فقال عليه السلام له: قد قال لي، إن الله قد شاء أن يراهن سبايا، وسلم عليه، ومضى.(١)

الذي أريد أن أؤكد عليه في هذه النقطة: إن ابن الحنفية له درجة عالية من الاعتقاد الحتمي الذي لا شك فيه في إمامة أهل البيت عليهم السلام بما فيهم الإمام الحسين عليه السلام الذي هو صاحب الثورة، وكانت هناك متابعة دقيقة من محمد بن الحنفية في مجريات الأمور والأوضاع لا سيما أنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد كتب له الوصية عندما كان في المدينة.

النقطة الثانية: لا شك أن هناك منزلة عظيمة وخاصة لأنصار الحسين عليه السلام لا يمكن أن يصل إلى هذه المنزلة أحد على الإطلاق كما يستفاد ذلك من الروايات، وزيارات أهل البيت عليهم السلام، وأصحاب الحسين عليه السلام لم يسبقهم سابق ولا يلحق بهم لاحق في سموّ مرتبتهم، وعلو شأنهم، فإن كل مَن لم يلحق بهذا الركب الحسيني فهو الخسران وهو الحرمان من نيل ذلك الشرف العظيم الذي لا يضاهيه شرف،

---

(١) اللهوف، ص ٢٧- ٢٨، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، ط٢، السيد ابن طاووس.

وهـذا مـا يشير إليه الإمـام الحسين عليه السلام في كتابه إلى بنـي هاشم: «مَن لحق بي منكم استشهد، ومَن تخلّف عني لم يبلغ الفتح»[1]، أي لم يصل إلى هذه المرتبة العالية، وهذا الفوز العظيم.

ولا يمكن أن يخفى هذا الأمر العظيم على محمد بن الحنفية، وليس مـن المعقول أصلًا أن يكون بعيدًا عن هذا الجو الروحاني الفريد من نوعه، كما أنه من المستحيل أن يكون عارفًا به، ولكنّه غير مكترث به لجلالة محمد بـن الحنفية، وعظيـم منزلته، وإيمانـه العظيم والكبير بالولايـة والإمامة لسيّده الإمام الحسين عليه السلام.

بعـد هاتين النقطتين أرجـع؛ لأقول: لا يمكن لمحمد بـن الحنفية أن يتخلف عن الإمام الحسين عليه السلام بدون عذر.

صحيح أنـه لا يوجد هناك مأثور واضح عـن أهل البيت عليهم السلام بهذا الصـدد إلا أن ذلك لا يمنعنا من القـول: إن محمد بن الحنفية لا يمكن أن يتخلّـف عن ركب الحسين عليه السلام بـدون عذر، والسبب في ذلك ما تقدم منا في النقطتين السابقتين.

إضافـة إلى ذلـك يوجـد مـن علمائنـا مـن نقـل أن محمـدًا بـن الحنفيـة رضي الله عنه كان مريضًـا أيام خروج الحسـين عليه السلام إلى درجة أنه لا يقوى على حمل السيف، من هؤلاء الأعلام:

١- السيـد ابن طاووس قدس سره عن أبي مخنـف قوله: «وقد كان محمد بن الحنفية موكوعًا؛ لأنه أهدي إلى أخيه الحسن عليه السلام درع من نسيج داود

(١) كامل الزيارات، ٧٥، لابن قولويه، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان ٢٠٠٩م، ص٨٢، ج٢٠، الطبعة الأولى.
واللهوف للسيد ابن طاووس، منشورات المطبعة الحيدرية، ص٢٨، النجف الأشرف.

على نبينا وعليه السلام، فلبسه، ففضل عنه ذراع وأربعة أصابع، فجمع محمد بن الحنفية ما فضل منه، وفركه بيده فقطعه، فأصابته نظرة فصارت أنامله تجري دمًا مدة، ولهذا لم يخرج مع الحسين عليه السلام يوم كربلاء، لأنه ما كان يقدر أن يقبض قائم سيف، ولا كعب رمح».[1]

٢- الدربندي قدس سره ينقل محاورة بين الإمام الحسين عليه السلام وأخيه محمد بن الحنفية في المدينة: «إني والله ليحزنني فراقك، وما أقعدني عن المسير معك إلا لأجل ما أجده من المرض الشديد، فو الله يا أخي ما أقدر أن أقبض على قائم سيف ولا كعب رمح، فو الله لا فرحت بعدك أبدًا، ثم بكى شديدًا حتى غشي عليه، فلما أفاق من غشيته قال: يا أخي، أستودعك الله من شهيد مظلوم».[2]

٣- تعرّض إلى هذه المسألة كذلك الشيخ حبيب الله الكاشاني في تذكرة الشهداء، وقال: بأن ابن الحنفية كان مصابًا بألم، فلم يقدر على حمل السيف والجهاد، وذكر: إن المشهور هو أن ابن الحنفية كان مريضًا في المدينة.[3]

---

(١) كتاب (حكاية المختار في أخذ الثأر برواية أبي مخنف):٣٣، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ط٢.

(٢) أسرار الشهادة، ٢٤٦، منشورات الأعلمي، طهران.

(٣) تذكرة الشهداء، ٧١ و ٨٢، لحبيب الله الكاشاني، ص٩٨، مؤسسة مدين، ط١.
وسبب ذلك - مع جلالة قدره، وعلو شأنه - أنه كان قد اشترى درعًا، فكانت أكبر منه، فأخذها بيده، فقطع الفرائد من زردها، فرأته امرأة كانت هناك، وبهتت لقوته، فقالت: إن كان مسلمًا سلطه الله على الكفار، وإن كان كافرًا وقى الله المسلمين شره، فأصابته بعين، فخرجت من يده خراجة زادت جراحتها حتى عجز عن حمل السيف، ولهذا عذره الإمام، ولم يكلفه بالخروج معه. معالي السبطين، ج١، ص٢٣٠.

إذًا لا إشكال بأن محمدًا بن الحنفية كان معذورًا في عدم الذهاب مع أخيه الحسين عليه السلام، وهذا الأمر هو الذي يطمأن إليه.

غاية الأمر: إن ابن الحنفية قد تحفظ في خروج الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة سواء كان في المدينة[1] أم في مكة[2]، وكان رأيه مخالفًا لرأي الإمام عليه السلام كبعض أصحاب الإمام، وبعض بني هاشم كعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر إلا أن هذا التحفظ ليس له دخل في الذهاب مع الحسين عليه السلام، وإنما السبب الوحيد هو مرض ابن الحنفية، أما إبداء الرأي في أي شيئ لا يلازم الامتناع، وعدم الذهاب.

مسألة خروج الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة، ورأي محمد بن الحنفية في ذلك كان واضحًا في التاريخ حيث إنَّ ابن الحنفية كان معارضًا لخروج الإمام عليه السلام للخلفية المعروفة لدى الكثير من الشخصيات - كما ذكرت -، إلا أن هذا الرأي كان رأيًا مؤقتًا وسرعان ما زال عن هذا الرجل العظيم، وذلك عندما أخبره الإمام الحسين عليه السلام بأنَّ الله شاء أن يراه قتيلًا كما أخبره الرسول صلى الله عليه وآله في عالم النوم، لما سمع ابن الحنفية ذلك لم يبدِ أيَّ اعتراض أصلًا، وإنما بكى وسأله عن حمله للنساء والحال أنه مقتول لا محالة، فجاوبه الإمام الحسين عليه السلام: «شاء الله أن يراهن سبايا»، وهنا كذلك لم يعترض محمّد رضي الله عنه مع أن هذا الخبر نزل عليه كالصاعقة، لأنه لم يتوقع ذلك.

---

(١) الإرشاد، المصدر نفسه للشيخ المفيد.

(٢) اللهوف، ١٢٧، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ط٢.

هذا الموقف يُظهر لنا عظمة محمد ابن الحنفية ومدى ذوبانه في الإمام عليه السلام وعمق التسليم المطلق لأخيه عليه السلام.

أما بالنسبة إلى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه وهو ابن عم الإمام الحسين عليه السلام جعفر الطيار، كان جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، كان كريمًا حليمًا، ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام، وهو زوج السيدة الجليلة زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام.

لا يوجد على الإطلاق من تأمل في جلالته، وقدر منزلته ورفعته لا في كتبنا ولا في كتب العامة، وهو أمر متسالم عليه بين الفريقين.

قال الذهبي: «عبد الله بن جعفر السيد العالم كفله النبي، ونشأ في حجره، كان كبير الشأن كريمًا جوادًا يصلح للإمامة».[1]

وقال عنه السيد الخوئي رحمه الله: «جلالة عبد الله بن جعفر الطيّار بن أبي طالب بمرتبة لا حاجة معها إلى الإطراء، ومما يدل على جلالته أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يتحفظ عليه من القتل كما كان يتحفظ على الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية»[2]، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية: يرى المتتبع لسيرة عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أنه كان جريئًا في قول الحق، مدافعًا عن الصراط المستقيم، داحضًا

(١) سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٤٥٦، مؤسسة الرسالة، بيروت - ط٦، ١٩٨٩م.
(٢) معجم رجال الحديث: (١٤٦/١١ - رقم٦٧٦٢)، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ.

للباطل، مواليًا لأئمة الهدى، ذائبًا في عمه أمير المؤمنين عليه السلام، إنه الرجل العارف بإمام زمانه.

يروي الشيخ الصدوق رحمه الله بسندين عن سليم بن قيس الهلالي عن عبد الله بن جعفر الطيار يقول: «كنا عند معاوية أنا والحسن والحسين، وعبد الله بن عباس، وعمر بن أبي سلمة، وأسامة بن زيد فجرى بيني وبين معاوية كلام، فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي علي بن أبي طالب عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد عليٌّ، فالحسن بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابنه الحسين بعدُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه علي بن الحسين الأكبر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني محمد بن علي الباقر أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين، ثم تكملة اثني عشر إمامًا تسعة من ولد الحسين رضي الله عنه ...».[1]

ومن جهة ثالثة نرى أن عبد الله بن جعفر هو الذي دفع بولديه عون ومحمد بأن ينضما إلى الركب الحسيني بعد خروجه من مكة، ولذا يقول الشيخ المفيد رحمه الله: «فلما آيس منه عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أمر ابنيه عونًا ومحمدًا بلزومه والمسير معه والجهاد دونه مع يحيى بن سعيد إلى مكة».[2]

أرسل ولديه مع الإمام عليه السلام؛ ليجاهدا دونه، وليستشهدا بين يديه، فهل يعقل أن يكون متخاذلًا، أو مخالفًا لرأي الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) الخصال، أبواب ١٢ - باب الأئمة بعد النبي اثنا عشر، ح٤٠، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٨.
(٢) المصدر السابق.
والإرشاد، ٦٩.

إنَّ الـكلام الـذي قلتـه في محمد بـن الحنفية هو عينـه الكلام الـذي أقوله هنا من جهة تأييـد عبد الله بن جعفر لثورة الحسين عليه السلام ونهضته، وحركته، وقيامه ضد يزيد بن معاوية.

ومعارضتـه لخـروج الإمـام عليه السلام إلى العـراق هو أمـر طبيعي لمثـل هذه الشخصيـات العارفة بالمجتمع الكوفي آنـذاك، وقد حاول ثني الإمـام عليه السلام عن الذهـاب إلى العـراق، لكنه لم يستطـع، فبعث ولديه مع الإمام، فكيـف يأمر ولديه بالذهاب وهو يخالف الحركة الإصلاحية للإمام عليه السلام، ولا يرى شرعيتها؟

من هنا لا شكَّ أن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه كان معذورًا في عدم التحاقه بالركب الحسيني.

إنَّ مَـن يواسي الإمام عليه السلام بأعـز ما عنده من أهل بيته «محمد وعـون»، وفلـذات كبـده لا بد وأن يكون معـذورًا في تخلفه عـن الالتحاق بالركب الحسيني.

يقول المامقاني قدس سره: «وقد واساه بولده عون، ومحمد، وعبد الله، قُتلوا معه بالطف لمّا كان هو معذورًا في الخروج معه».[1]

ويقـول المحقـق الشيـخ جعفـر النقـدي: «أما عـدم خروجه مع الحسين عليه السلام إلى كربلاء، فقد قيل: إنه مكفوف البصر».[2]

(١) تنقيح المقال في علم الرجال،١٧٣:٢
وأبـو الفـرج الأصفهاني روى أن لعبد الله ولـدًا آخر اسمه عبيد الله، وأمه الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف قتل أيضًا في كربلاء.
ومقاتل الطالبيين لابن الفرج الأصفهاني، ص٦، نشر الرضي، قم - إيران.
(٢) زينب الكبرى :٨٧، منشورات مكتبة المفيد، قم - إيران.

السؤال الخامس

هل كان مسلمٌ كفوءًا بالسَّفارة؟

من الواضـح تاريخيًّا أنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد أرسل مسلمًا بن عقيل إلى الكوفة، فهل يا ترى كان جديرًا بقيادة المجتمع، وتحمل المسؤولية؟

هل كان يملك كفاءة سياسية، واجتماعية؟

وهل له القدرة على إدارة المجتمع؟

وإذا كان كذلك، فلماذا تفرق الناس، وابتعدوا عنه، وتركوه وحده في أزقة الكوفة؟، بل انقلبوا عليه بعد ذلك، ووجهوا سهامهم، وسيوفهم ضده؟

أليس هذا الموقف، وبهذه السرعة يكشف لنا عن بساطة شخصية مسلم بن عقيل، ويكشف لنا عدم حنكته وجدارته لقيادة المجتمع الكوفي، وهذا يكشف لنا بدوره عن عدم معرفة الإمام الحسين عليه السلام بمسلم بن عقيل؟

يعتبر هذا الموقف من المواقف المهمة في تاريخ النهضة الحسينية، ومحطة من المحطات التاريخية الخطيرة، ومفصلاً أساسيًّا من مفاصل الحركة الحسينية، ومن مشاهدها الحساسة، والتي وقع فيها الجدل، واحتدم فيها النقاش عند البعض لا سيما عند بعض المفكرين البعيدين عن فكر وخط أهل البيت عليهم السلام.

والذي زاد الطين بلّة - كما يقولون - هو أن العدد الذي بايع مسلمًا

بـن عقيل ليس قليـلاً - آنذاك - حيث وصل على أقل تقدير ثمانية عشر ألـف فارس، وهو عدد يستحـق التأمل، وقد تفرق هـؤلاء عن مسلم بن عقيـل بشكل سريع إلى درجة أنه لا يوجـد أحد يدله على الطريق، فأين هـؤلاء؟، أين ذهبـوا؟، لمَ لم يستطـع مسلم أن يحافظ عليهـم، أو على بعضهم حتى لو كان قليلًا؟

مـن هنا وقع الجدل في مصدر المشكلة، فهل المشكلة في مسلم بن عقيل من حيث عدم جدارته وقدرته على قيادة المجتمع الكوفي؟

أم أن المشكلـة في أهل الكوفة، لأنهم أهل غدر ونفاق - كما ذكره ذلك بعض بني هاشم -؟

مسلم بن عقيل سفير الحسين عليه السلام

مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، غني عن التعريف، فهو من سلالة بني هاشم، تلك السلالة الهاشمية السامية العريقة، فكان مسلم مثـالًا ساميًا في الأخلاق، والجـرأة، والشجاعة، وغيرهـا من الصفات العالية التي قد اتَّصف بها بنو هاشم.

قـال السيد الخوئي: «فجلالـة مسلم بن عقيـل وعظمته فوق ما تحويه عبارة، فقد كان بصفين في ميمنة أمير المؤمنين عليه السلام مع الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر».[1]

(١) معجم رجال الحديث ١٩: رقم١٢٣٦٢، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ.

وهــذه الرواية تنبئ عن شجاعة مسلم بــن عقيل وبسالته، ولذا قال البعض: «إنَّ مسلمًا بن عقيل كان مثل الأسد، وكان من قوّته أن يأخذ الرجل بيده، فيرمي به فوق البيت».[1]

ونجــد في موقع آخر أنَّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قد أخبر عليًّا عليه السلام خـبرًا، حيـث روى الصدوق قدس سره: «قــال عليٌّ عليه السلام لرســول الله صلى الله عليه وآله يا رسول الله، إنك لتحب عقيلاً؟

قــال: إي والله، إني لأحبه حبين: حبًّا لــه، وحبًّا لحب أبي طالب له، وإنَّ ولــده لمقتول في محبّة ولدك، فتدمع عليه عيــون المؤمنين، وتصلّي عليه الملائكة المقرّبون، ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي».[2]

هــذا، وقد خــرج مسلم من مكة للنصف من شهــر رمضان سنة ٦٠ مــن الهجرة، ودخل الكوفة في الخامس من شوال، ونزل دار المختار بن أبي عبيدة[3]، وأقبلت الشيعة يبايعونه حتى أحصى ديوانه ثمانية عشر ألفًا[4]، وقيل بلغ خمسًا وعشرين ألفًا.[5]

---

(١) نفس المهموم للشيخ عباس القمي، ص١٠٩، دار المرتضى، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان.

(٢) أمالي الصدوق:١٨٣، المجلس٢٧،٤.

وترتيب الأمالي للمشايخ الثلاثة، ج٥، مؤسسة المعارف الإسلامية.

(٣) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٣٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٤) تذكرة الخواص، ص٣٠٩، سبط ابن الجوزي، ذوي القربى، الطبعة الأولى، قم - إيران.

(٥) ابن شهر آشوب المازندراني، ج٣، ص٢٤٢، المطبعة الحيدرية في النجف - العراق.

معنى السفير

هناك عدة معانٍ في اللغة لكلمة السفير، من المعاني:

١- ممثّل سياسي لدولة في عاصمة دولة أخرى، وقد يكون هذا المعنى من المعاني المستحدثة التي اخترعت ضمن وجود تبادل السفارات بين الدول لا سيما وإن هذا المصطلح «سفارة» لم يكن معهودًا عند العرب، إلا أن يراد كمبعوث في مهمة لمدة مؤقتة لكنه بعيد، وبالتالي هذا المعنى لا ينطبق على مسلم بن عقيل.

٢- مصلح بين قوم، وهو معنى جيد، له أصول عربية قديمة، وهذا يشمل مسلم إلا أنه معنى ضيق لمهمته.

٣- المعنى الآخر «رسول»، وهذا المعنى له شمولية واسعة جدًّا، وهو ينطبق كل الانطباق على مسلم، ولذا أجاد الشاعر عندما قال:

رسول حسين ونعم الرسول إليهم من العترة الصالحة

إذًا مسلم بن عقيل سفير الحسين عليه السلام لأهل الكوفة ورسوله إليهم، ويجب على أهل الكوفة إطاعة أوامره، والالتزام بكل قراراته التي يمكن أن تصدر منه في أي لحظة حال وجوده في الكوفة حتى وصول الإمام الحسين عليه السلام، ولا تنحصر مهمة مسلم بمهمة معينة دون أخرى، بل له مطلق التصرف على ضوء الكتاب والسنة، وهذا هو الذي نفهمه من كلمة «رسول»، غاية الأمر قد يتكيّف المُرسِل في تحديد أعمال السفير، وقد يطلق له العنان بالتصرّف في جميع الأمور والقضايا دون تحديد.

وبما أن الإمـام الحسين عليه السلام لم يصدر منه أي تقييد للمهمة التي بُعث إليها مسلم، فمعناه أن له مطلق التصرّف سواء في الأمور الاجتماعية، أم الاقتصادية، أم غيرهما.

التقارب الفكري

لا بـد من التقارب الفكري بـين المُرسِل والرسول، ولا بد من التوافق في المنهـج والتخطيـط، وفي كل مجريـات الأمور الخارجية وذلـك باعتبار أن الرسـول في الحركـة والتخطيط والنهـج الفكري والقضايـا الخارجية يمثـل المُرسِـل في كل ذلك، ولذا من الخطأ جـدًّا أنْ يقـوم المُرسِل بإرسال شخصيـة تخالفه في الفكر والتخطيط والنهـج والرؤية الخارجية، وإذا ما قام المُرسِـل بـإرسـال مثل هذه الشخصية لهو دليل واضح على عـدم المعرفة والدقة.

ولا بـد من دراسة الشخصية دراسة دقيقة من جميع الجهات سواء كان في مكوّناته النفسية والروحية، أم قدراته الخارجية.

من هنا نقول: إنَّ مسلمًا بن عقيل باعتباره رسول الحسين عليه السلام، فلا بـد أن يكون الفكر الذي يحمله مسلم والنهج والتخطيط والرؤية الخارجية هـي نفسها التي يراها الحسـين عليه السلام، وهذا الأمر هو الـذي نعتقد به في مسلـم، والذي يؤيد ذلك، بل والدليل عليه هو الواقع الخارجي الذي عاشه مسلم بن عقيل في تلك الحقبة الزمنية الصعبة مع أهل الكوفة.

من جهة أخرى - وهـذا هو محل التساؤل - نعتقد أن مسلمًا عليه السلام كان قويًّا حكيمًا له قدرة فائقة في إدارة الأمور، وشخصيته شخصية واعية،

لها القدرة في إدارة المجتمع الكوفي، وإدارة الحركة السياسية فضلًا عن الجانب التعبدي والإيماني لمسلم عليه السلام، وإن الإمام الحسين عليه السلام لا يمكن أن يُرسل لهذه المهمة الخطيرة والمصيرية شخصية ضعيفة لا تملك الوعي السياسي والاجتماعي، وليست لها قدرة على اتخاذ القرار وقيادة المجتمع، ولا تحمل المقوّمات الأساس للشخصية القيادية.

إنَّ مسلمًا بن عقيل له كل المقوّمات النفسية والمعنوية والخارجية التي تؤهله لتلك المهمة الخطيرة والصعبة في نفس الوقت، ونجزم أنه لو لم تكن فيه تلك المقوّمات الكبيرة لما بعثه الإمام الحسين عليه السلام.

وتترسخ صحة هذه الفكرة من نفس خطاب الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة عندما قال عليه السلام: «بعثت إليكم أخي، وابن عمي، وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل ...».[1]

إنَّ تعبير الإمام عليه السلام بالثقة يحمل أبعادًا عميقة وكبيرة بالنسبة للظرف الراهن آنذاك التي تعيشه الأمَّة في مدينة الكوفة، ولذا فإن معنى الثقة هنا ليس هو عدم الكذب فقط، وهو المصطلح الذي يصطلح عليه الفقهاء في علم الرجال، وإنما التعبير بالثقة «في ذلك الظرف بالذات» يحمل آفاقًا قياديَّة وسياسيَّة واجتماعيَّة واقتصاديَّة، حيث نستوحي منها القدرة على قيادة المجتمع قيادة حكيمة ورشيدة على خط الله عزَّ وجلَّ، نفهم منها الاستيعاب التام لكل المشاكل الموجودة في المجتمع الكوفي، فضلًا عن المشاكل والأحداث التي سوف تستجدّ بعد ذلك.

(١) مقتل الحسين للمقرم، ص١٤٥، سنة الطبع ١٤١١هـ، دار الثقافة، قم - إيران.

إننـا نستوحـي منهـا كل ذلك، ولا نفهـم منها ذلك المعنـى الضيّق والخاص وهو عدم الكذب فقط.

هـذا التعبـير مـن الإمـام عليه السلام لـه دلالاتـه المعنويـة والأخلاقية والخارجية القيادية التي كان يتصف بها مسلم بن عقيل.

ولذا لا يمكن التجريح، ولا الطعن، ولا النيل لا من قريب ولا من بعيد في هـذه الشخصية العظيمة، كمـا لا يمكن التنزيل مـن قدرها وعظمتها، وإننـا لا يمكننا القـول - بتاتًا - بأنَّهـا شخصية لا تملك الكفـاءة والقدرة لقيادة المجتمع، وليست لها قدرة سياسية واجتماعية.

الإشكالية

قـد يتصوّر البعض هـذا التصوّر باعتبـار أن مسلمًا بن عقيل الذي اجتمـع عنـده ثمانية عشر ألـف سيف لم يستطـع أن يحافـظ عليهم، ولم يستطـع أن يستثمر هذا المجتمع الكبير لمواجهة بني أمية مع ما بذله أولئك من الاستعداد للتضحية والفداء.

إنَّ هـذا دليـل واضح على عـدم الخبرة، وعدم الحنكـة السياسية، وعدم القدرة على إدارة المجتمع.

يضـاف إلى ذلـك أن هـذا الأمـر الـذي حصل لم يكـن بعد خمس سنـين من وصـول مسلم إلى الكوفـة، أو بعد سنتين، أو حتـى سنة واحدة، وإنمـا كان بعـد شهر تقريبًا من وصوله إلى تلـك المدينة التي بايعت الإمام الحسين عليه السلام.

هذا الـكلام غير صحيح وغير منطقي أصلًا، وخلاف ما نعتقده في مسلـم بن عقيل، ولا دليـل أصلًا على هذا الرأي سوى انقلاب الناس علـى مسلـم، وأن مسلمًا بن عقيل لم يستثمر تلـك الجموع الغفيرة لقلة خبرتـه، وعدم قدرته على جمْعهم والاستفادة منهم فيما جاء من أجله، مع أنَّ هذا الانقلاب سببه ليس مسلمًا وإنما السبب الرئيس والوحيد هم أهـل الكوفة أنفسهـم، وأن المشكلة في أهل الكوفـة أنفسهم وفي سلوكهم وموقفهـم، وتخاذلهـم وليسـت المشكلة في مسلم بن عقيـل، وهذا الأمر يحتاج إلى بيان وتوضيح.

أهمية الاختيار

إنَّ القـدرة على اتخاذ القـرار، والاختيار الذي يملكـه الإنسان، ويتحلى به لهو من الأمور التي يدركها كل إنسان، ويجزم بها ولعلها أكثر الأمور والمعارف يقينًا للإنسان.

إنَّ كل واحـد منا يـدرك في داخل ذاتـه بعلمه الحضـوري، وإذا شك في شيئ، أو تردد فيه، فإنه من المستحيل أن يتردد في هذا الإدراك اليقيني الفطري.

كذلـك كل واحد منا يدرك في داخله وأعماق ذاته بأنه قادر على التحكـم بقضاياه الخارجيـة وجوارحـه الجسمانية، فيشعـر بأنه قادر - مثـلاً - علـى التكلم والحديث مع الآخرين، كمـا أنه قادر على عدمه، وكذلـك قادر على تنـاول الطعام الذي يرغب فيه مـن عدم تناوله، وهو قادر كذلك على المسير في الاتجاه الذي يشاء من عدمه، ...، وهكذا.

ثـم إنَّ التصميـم على القيام بعمـل تارة يتم؛ لأجـل إشباع الدوافع الغريزيـة والحيوانية مثل الجوع الذي يدفع الإنسان إلى إرادة أكل الطعام، والعطشـ الذي يدفع الإنسان إلى إرادة شرب الماء، والغريزة الجنسية التي تدفعـه للبحث عن شريـك الحياة، وتارة أخرى يتم؛ لأجـل إرضاء الدوافع العقلية؛ ولأجل تحقيق الطموحات الإنسانية مثل المريض الذي يقوم بتناول الـدواء المرّ؛ لأجل الحصـول على السلامة والاستشفاء، فـإن العقل يدفعه لشـرب الدواء المرّ، ويمنعه مـن تناول ألذ الأطعمـة الشهيّة حتى لا يصاب بزيادة في نسبة السكر، وإن هذا الجندي الذي يذهب إلى الحرب عن إرادة واختيـار، ويضحي بروحه في سبيل الوصول إلى الهدف السامي إنما بدافع الطموح الإنساني.

قيمة الإنسان

في ظـل هـذه الدوافـع المختلفـة، وفي ظل هـذه الرغبـات المتعددة يأتـي هـذا التساؤل المهم: أين تظهـر قيمة الإنسان؟، وأيـن تظهر إنسانية الإنسان؟، ومتى يقال: إن هذا الإنسان يملك إنسانية؟

مطلـوب من الإنسان أن يتحـرك وفق الأمور الطبيعيـة والعادية في حـال عـدم التزاحم بين الأمـور والقضايـا والرغبات والدوافـع، وفي هذه الحالة لا تُعرف قيمة الإنسان، ولا تتبين قيمة الفرد وحقيقته.

الفـرد الـذي يقول: إننـي ماهر في السباحـة، وأنه يقـاوم الأمواج العاتيـة لا تعـرف حقيقته وهو جالس علـى اليابسة، بل تعـرف حقيقته في وسـط البحر والأمواج في شدتها وعلوّها، ولـذا فإن قيمة الإنسان وحقيقته

الشخصيــة إنما تظهر في ظل التعارض والتزاحم بين الرغبات والدوافع المختلفــة، فإذا حصــل التزاحم بينها يجــب عليه الاختيــار وفق إرادته الشخصية.

فلو حصــل التزاحم بين الكمالات الروحيــة والقرب الإلهي وبين الملــذات الدنيوية والرغبات الحيوانية، فعلــى الفرد أن يختار بين هذين الأمريــن، فهــل يختــار الطريــق الأول الذي تكــون دوافعه دوافــع إلهية وغَيبيــة، أم يختار الطريق الثاني الذي تكــون دوافعه حيوانية وغريزية، فإذا اختار تتبين قيمة الفرد، وتُعرف قيمة الإنسان.

من هنــا نعــرف أن الاختيــار عملية طبيعيــة يمارسهــا الإنسان في أفعالــه وأقوالــه وحركاتــه، ومن خلال هــذا الاختيار قــد يصل هذا الإنســان إلى الكمالات الروحية العالية، ويتكامل في مسيرته، ويصل إلى الفضائل الأخلاقية الراقية، وقد يبقى في الحضيض الأسفل، ويعيش في مستنقــع الرذائــل الوضيعة، ويبقى أسير الشهــوات الحيوانية، كل ذلك بيد الإنسان نفسه، ولذا فإن الإسلام يرتكز على هذه النقطة في مسائل العقاب والثواب كما هو مقرر في محله.

مــن هنا أقــول: إنَّ مسلمًا بن عقيــل كشخصيــة إسلامية واعية تتصــف بصفــات إيمانية عاليــة، وتتحلى بفكــر إسلامــي راقٍ وعقيدة إسلاميــة صلبــة وواضحة قــد ارتكز على هــذا الأسلــوب الطبيعي وهو عامــل الاختيار الشخصي، وعدم إجبار النــاس، وكان بإمكان مسلم أن يسلــك أسلوب التهديد والعنــف والترغيب بالأمــوال إلا أن ذلك خلاف العقيدة الإسلامية، وخــلاف الطموح الإنساني، وخلاف طريق الأحرار

والعظمـاء، ولذلك تحرّك مسلم منذ مجيئـه إلى الكوفة، وارتكز على مبدأ حرية الاختيار والقناعة الذاتية والفكرية.

من خلال هـذا المبدأ والنهج السليم، والطريـق الأمثل حضر عنده أكـثر من ثمانية عشـر ألف رجل قد وقعوا، وتعاهدوا علـى نصرة أبي عبد الله الحسـين عليه السلام، وكانـت الأمـور طبيعية مـن حيث عـدم التزاحم في الاختيـار، ولم يكن هناك في الساحـة الكوفية آنذاك سوى مسلم بن عقيل، فلا يوجد رجل آخر يعارض مسلم، ولا يزاحمه فيما يطرحه إلا والي المدينة الـذي لم يعد يملـك أي قرار في تلـك الأجواء المشحونـة، إلا أن بعد مجيئ عُبيـد الله بـن زياد، وقبل مجيـئ الحسين عليه السلام انقلـب الوضع، وحصلت تطـورات سريعة جدًّا ومتلاحقة حتـى أصبح الناس في قضية متزاحمة بين أمرين لا ثالث لهما:

أ- اتِّبـاع مسلم بن عقيل، والبقاء على عهدهم وعند ميثاقهم، والصبر مع مسلم مهما كانت النتائج إلى حين وصول الإمام الحسين عليه السلام.

ب- اتِّباع ابن زياد من خلال خذلان مسلم، ونقض كل تلك العهود والمواثيق التي كتبوها للإمام الحسين عليه السلام، وأكدوها لمسلم بن عقيل.

فأصبح أهل الكوفة بين هذين الأمرين اللذين لا ثالث لهما، وبالتالي عليهم أن يختاروا أحدهما.

وكما ذكـرت سابقًا: إنَّ قِيمة الإنسان وعظمتـه تتبيَّن حال التزاحم في ظل الاختيار.

هنــا تتبين عظمته وحريته وبسالتــه وعنفوانه وكرامته، أو يتبين خذلانه وانحطاطه وجبنه وخوفه، فعليهم أن يختاروا بين النور والظلام، وبين الخير والشر، وبين الشجاعة والجبن، وبين الكرامة والذّل.

هــم يعلمــون أن الثبــات والكرامــة والصبر ربمــا يكلفهم الكثير مــن التضحيات والشهداء إلا أن هــذا الطريق هو طريق الكرامة والعزَّة والإباء.

أعود لأقول: إنَّ مسلمًا بن عقيل لم يجبرهم، ولم يهددهم، بل ولم يمنِّيهم بالعطايا كما فعل ابن زياد.[1]

إنَّ الإسلام - كمــا ذكرت - يقوم على هذا الأساس المتين، وعلى هــذه العقيــدة الراقية والمميــزة، وبالتالي فــإن أهل الكوفــة هم الذين اختاروا وحددوا موقفهم باتِّباعهم عبيد الله بن زياد، ونقضهم لكل تلك العهــود والمواثيق التي أصبحت لا قيمــة لها عند أهل الكوفة، وقد حصل هــذا الانقلاب على مسلم، وعلى تلك العهود والمواثيق، وعلى الكتب التي كتبوها والرسائل التي أرسلوها بشكل سريع ومفاجئ من خلال تهديدات ابن زياد وتخويفه لأهل الكوفة، وشراء النفوس والضمائر.

إنَّ هذا الانقلاب سببه الرَّئيس والوحيد هو أهل الكوفة أنفسهم، وإنَّ الكــرة كانــت في ملعبهم، ولا دخل لمسلم بن عقيــل في هذا الخذلان والتراجــع، ولا يتحمــل مسلــم بن عقيل تبعــات هذا التراجــع والتخاذل الكــوفي الــذي حصل بسبــب عوامل خطــيرة كانت موجــودة في المجتمع الكوفي.

(١) المصدر نفسه، ص٤١.

أعتقـد - جازمًا - بوجود أسباب وعوامل داخل المجتمع الكوفي أدّت بـه إلى هذا التخاذل والتراجع، ولـذا لا بدَّ من دراسة هذه الأسباب بجدية كبـيرة، والوقوف على هذه العوامل الخطيرة التي أدّت إلى انتكاسة عظيمة في المجتمع الإسلامي آنذاك، وأدّت بتبعاتها على الأمَّة إلى يومنا هذا.

ومن ضمن هذه الأسباب:

١- الخوف من ابن زياد بشكل خاص.

٢- الدِّعة، والتراخي.

٣- قلة الوعي في القضايا والأمور السياسيَّة والاجتماعيَّة.

٤- الميل إلى حب المال والجاه والراحة.

٥- ضعف الوازع الديني، أو ضعف الالتزام بالقوانين الدينية الإلهية.

٦- الإرادة النفسية الضعيفة.

وغيرهـا مـن العوامل التـي تعتبر منتشـرة في أهل الكوفـة انتشارًا واسعًـا إلا القلة القليلة من الأفراد الفدائيين والرساليين الذين حملوا على عواتقهم تحرير الأمَّة من جبروت بني أمية.

ومـن خـلال ما تقدم نعـرف تمام المعرفـة جدارة مسلـم بن عقيل لهـذه المهمة الخطـيرة، وأنَّ اختيـار الإمام الحسـين عليه السلام كان في محله، وقـد كان عارفًا ومطلعًا علـى شخصية مسلم، ومدى قدرته وتحمله وصبره لهذه المسؤولية التـي كشفت عن منزلة مسلم وعظمته وإيمانه العميق بالله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وآله.

السؤال السَّادس

هل الإمام الحسين عليه السلام يعلم بالمصير الذي آل إليه؟

هل كان الإمام الحسين عليه السلام يعلم بمقتله، وأنه سوف يستشهد، وتقتله بنو أمية في أرض كربلاء؟

وإذا كان يعلم بذلك، فلماذا ذهب ولم ينقذ نفسه من موت محتم؟

أليس هذا رمي بالنفس إلى التهلكة؟

هذا السؤال من الأسئلة المفصلية العقائدية الذي طالما يثيره بعض المخالفين والمغرضين عبر وسائل إعلامهم المختلفة؛ من أجل التشكيك في الأمور العقائدية عند الشباب، ولذا حاول البعض أن يطرح السؤال بتعبير آخر حيث قال: «إنَّ الحسين بن علي إما أنه يعلم بمقتله، وإما لا يعلم، فإذا كان يعلم فهو رمي بالنفس إلى التهلكة، وإذا كان لا يعلم فكيف تقولون: إن أهل البيت يعلمون الغَيب، أو لديهم إحاطة بالغيب»؟

وكما نرى صاغ السؤال على أنه أمر مسلّم به في كلتا الحالتين.

والنتيجة التي طرحها في كلا الأمرين مرفوضة؛ لأنَّنا نعتقد أن الإمام عليه السلام كان يعلم بمقتله، وليس من باب الرمي بالنفس إلى التهلكة، وبالتالي هو يعلم الغَيب، أو قل له إحاطة بالغَيب.

هذا الموضوع يحتاج إلى البحث العلمي في نقطتين أساسيتين كما هو في السؤال:

الأولى: هل كان الإمام عليه السلام يعلم بمقتله؟

الثانية: مع العلم، لماذا يرمي بنفسه ومَن معه إلى التهلكة؟

النقطة الأولى

علم أهل البيت عليهم السلام علمٌ لدنّي رباني كاشف عن مكانتهم الإلهية الخاصة المنصوص عليها من قبل الله وجل، وإنَّ هذا العلم محاط بهالة من العظمة والقدسية الإلهية، ومنسوج بنسيج العصمة الربانية التي لا تُخطئ، ولا تسهو.

من هنا، فإن علماء الإمامية يعتقدون بعلم الغَيب لأهل البيت عليهم السلام مع غض النظر عن الاختلاف في سعة هذا العلم وضيقه.

وهذه مسألة علمية عقائدية مبحوثة في الكتب العقائدية لا مجال لطرحها هنا، إلا أن محل الكلام هو خصوص علم الإمام الحسين عليه السلام بمقتله في أرض كربلاء المقدسة.

قد وردت الأخبار الكثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام تُعرّف الأمَّة بمقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ليس فقط الإمام عليه السلام هو مَن يعلم بمقتله واستشهاده، بل الأمَّة في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، كانت تعرف أنَّ الحسين عليه السلام يقتل مع كوكبة من أهل بيته وأصحابه في أرض كربلاء من العراق، وكانوا يعرفون أنَّ شفاعة النبي صلى الله عليه وآله لا تنال قتلة الحسين عليه السلام، بل كان بعض الرّواة يعرفون بعض التفاصيل والجزئيات الدقيقة عن هذه الواقعة المرتقبة الأليمة، فإليك بعض هذه الروايات:

الرواية الأولى: قالت أسماء: فلما ولدت فاطمة الحسين عليها السلام نفَّستها بـه، فجاءني النَّبـيُّ صلى الله عليه وآله، فقال: هلمّ ابني يا أسمـاء، فدفعته إليه في خرقة بيضاء، ففعل به كما فعل بالحسن، قالت: وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: إنه سيكون لك حديث، اللهم العن قاتله.

لا تُعلِمي فاطمة بذلك.

قالت أسماء: فلما كان في يوم سابعه جاءني النَّبيُّ صلى الله عليه وآله، فقال: هلمّـي ابني، فأتيته، ففعـل به كما فعل بالحسن، وعـقّ عنه كما عقّ عن الحسـن ...، ثم وضعـه في حجره، ثم قال: يا أبا عبـد الله، عزيز عليَّ، ثم بكى.

فقلـت: بأبي أنت وأمي، فعلت في هـذا اليوم، وفي اليوم الأول فما هو؟

قـال: أبكي على ابنـي هذا تقتله فئة باغية كافـرة من بني أمية، لا أنالهم الله شفاعتـي يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين، ويكفر بالله العظيم ...».[1]

الروايـة الثانيـة: « ... خـرج النبي صلى الله عليه وآله إلى سفـر، فوقف في بعض الطريق، واسترجـع، ودمعت عيناه، فسُئل عن ذلـك، فقال: هذا جبريل يخبرني عن أرض بشطّ الفرات يقال لها كربلاء يُقتل فيها ولدي الحسـين، وكأني أنظر إليه وإلى مصرعـه ومدفنه بها، وكأني أنظر إلى

(١) أمالي الطوسي، المجلس١٣.
وترتيب الأمـالي للمشايخ الثلاثة، ج٥، ١٧٠، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، قم - إيران.

السبايا على أقتاب المطايا، وقد أُهديَ رأس ولدي الحسين إلى يزيد لعنه الله، فو الله ما ينظر أحد إلى رأس الحسين، ويفرح إلا خالف الله بين قلبه، ولسانه، وعذبه الله عذابًا أليمًا.

ثم رجع النبي صلى الله عليه وآله من سفره مغمومًا مهمومًا كئيبًا حزينًا، فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين، وخطب ووعظ الناس، فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين، وقال: اللهم، إنَّ محمدًا عبدك ورسولك، وهذان أطائب عترتي، وخيار أرومتي، وأفضل ذريتي ومن أخلّفهما في أمتي، وقد أخبرني جبريل أن ولدي هذا مقتول بالسم والآخر شهيد مضرج بالدم.

اللهم، فبارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء.

اللهم، ولا تبارك في قاتله، وخاذله، وأَصْلِه حرَّ نارك، واحشره في أسفل درك الجحيم.

قال: فضجّ الناس بالبكاء والعويل، فقال لهم النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: أيُّها الناس، أتبكونه ولا تنصرونه، اللَّهم، فكن أنت له وليًّا وناصرًا».[1]

الرواية الثالثة: «ولمّا اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله مرضُه الذي مات فيه، وقد ضم الحسين عليه السلام إلى صدره يسيل من عرقه عليه وهو يجود بنفسه، ويقول: ما لي ويزيد، لا بارك الله فيه.

(١) بحار الأنوار، ٢٤٨، ج٤٤، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٩٨٣م، بيروت - لبنان.
ومقتل الخوارزمي، ص٢٣٨، دار الحوراء، بيروت - لبنان، بتصرف.

اللهـم، العن يزيـد، ثم غشي عليـه طويلًا، وأفـاق، وجعل يقبّل الحسـين وعيناه تذرفان، ويقـول: أمـا إنَّ لي ولقاتلـك مقامًا بين يديّ الله عَزَّوَجَلَّ.[1]

الرواية الرابعة: عن ابن عباس قال: «كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في «خروجـه» إلى صفين، فلما نزل نينوى وهـو بشط الفرات قال بأعلى صوته: يا ابن عباس، أتعرف هذا الموضع؟

قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي.

قـال: فبكي طويـلًا حتى أخضلّـت لحيته، وسالـت الدموع على صدره، وبكينا معًا وهو يقول: أوّه أوّه ما لي ولآل أبي سفيان؟ مالي ولآل حرب، حزب الشيطان، وأولياء الكفر؟

صبـرًا يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم».[2]

الروايـة الخامسة: روي عن أبي جعفر عـن أبيه عليه السلام قال: مرّ علي عليه السلام بكربلاء، فقال لمّا مرّ به أصحابه وقد أغرورقت عيناه يبكي، ويقول: هذا مناخ ركابهم، وهذا مُلقى رحالهم.

ها هنا مراق دمائهم.

طوبي لك من تربة عليها تراق دماء الأحبة».[3]

---

(١) مثير الأحزان: ٢٢، ابن نما الحلي، منشورات مدرسة الإمام المهدي، قم - إيران. وراجع نفس المهموم، ص٦١، دار المرتضى، الطبعة الأولى الأولى، بيروت - لبنان.

(٢) أمالي الصدوق: المجلس٨٧، ح٥، ترتيب الأمالي للمشايخ الثلاثة، مؤسسة المعارف، ص١٧٥، الطبعة الأولى، قم - إيران.

(٣) البحار، ج٤١: ٢٩٥، باب ١١٤ حديث ١٨، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٩٨٣م، بيروت - لبنان.

الرواية السادسة: عن حذيفة قال: «سمعت الحسين بن علي يقول: والله ليجتمعنَّ على قتلي طغاة بني أميَّة، ويقدمهم عمر بن سعد، وذلك في حياة النبي صلى الله عليه وآله.

فقلت: أنبأك بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: لا، فأتيتُ النبي صلى الله عليه وآله، فأخبرته.

فقال صلى الله عليه وآله: علمي علمه، وعلمه علمي، وإنا نعلم بالكائن قبل كينونته».[1]

الرواية السابعة: روى عبد الله بن شريك العامري، قال: «كنت أسمع أصحاب علي عليه السلام إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين بن علي عليه السلام، وذلك قبل أن يقتل بزمان».[2]

الرواية الثامنة: روي أنَّ عمر بن سعد، قال للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، قبلنا ناسًا سفهاء يزعمون أني أقتلك، فقال له الحسين عليه السلام: إنهم ليسوا بسفهاء ولكنهم حلماء: أما أنه يقرّ عيني ألا نأكل من برّ العراق بعدي إلا قليلًا».[3]

هناك العديد من الروايات المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الملحمة التي سوف تحدث في أرض العراق، بل كربلاء لا محالة.

---

(١) دلائل الإمامة ١٨٣-١٨٤ حديث٦/١٠١، لمحمد بن جرير بن رستم الطبري، مؤسسة البعثة، قم - إيران.
وبحار الأنوار، ج٤٤، ص١٨٦، ح١٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٢) الإرشاد: ص١٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣٢.

وكما لاحظت - عزيزي القارئ - أنَّ النبي صلى الله عليه وآله في بعض الروايات كان يُفصّل أكثر، ويسمي قاتله، وهذا أسلوب أساس وواضح في بيان هذه الواقعة الخطيرة التي سوف تحدث؛ لأجل تعريف الأمَّة الإسلامية بها حتى لا تلتبس عليها اللوابس، فيختلط عليها الحق بالباطل، لاسيما أن النبي صلى الله عليه وآله كان يعلم بالأساليب الخبيثة التي سوف يستعملها آل أميَّة، وآل مروان، وآل زياد؛ لتضليل الأمَّة من جهة، وتخويف الناس من جهة أخرى، ولذا ركّز النبي صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام على هذه الواقعة الفجيعة والرزية العظيمة ببعض تفاصيلها حتى أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يوجه الخطاب إلى بعض الأفراد المباشرة مثل البراء بن عازب حيث قال له:«يا براء، يُقتل ابني الحسين وأنت حي لا تنصره»، فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء بن عازب يقول: صدق والله علي بن أبي طالب، قُتل الحسين ولم أنصره، ثم أظهر على ذلك الحسرة، والندم».[1]

وهناك شخصيات استفادت من هذا الإخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والتحقت بركب الحسين عليه السلام، ولم تتردد أصلاً في نصرة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام كالصحابي الجليل أنس بن الحارث حيث يقول ابن عساكر في تاريخه: «روى الصحابي الجليل أنسُ بن الحارث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:«إنَّ ابني هذا - وأشار إلى الحسين - يُقتل بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره»، ولما خرج الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء خرج معه

(١) نفس المصدر، ص٣٣١، جمع من الكتاب.

الصحابـي الجليل أنس بـن الحارث (رضوان الله تعالى عليه)، واستشهد بين يدي الحسين عليه السلام.[1]

وعلـى كل حال هنـاك معرفة عامَّة سـادت أوسـاط المجتمع المدني بالذات، والكوفة منه بمقتل واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

صحيـح أن الكثير ممَّن سمع هـذا الحديث من الرسول صلى الله عليه وآله قد مـات إلا أنهم قـد رووا هذا الحديـث لغيرهم، فمنهم مـن التحق بالركب الحسيني، فنال شرف الشهادة التي لا نظير لها، ومنهم مَن خسر الخسران المبين.

إلا أن محـل الـكلام أنَّـه إذا كان المجتمع الإسلامـيُّ - ولو في بعض أفراده - كان يعلم بمقتل الحسين عليه السلام، فهل يمكن أن نتصور عدم معرفة الإمام عليه السلام بشيئ عن مقتله واستشهاده؟

إذا كان ابـن عباس، وأنـس بن الحارث، وأصحـاب النبي صلى الله عليه وآله، وأصحـاب علي عليه السلام يعلمون عن هذه الفاجعـة الأليمة والملحمة الفريدة، فهـل يعقـل أن يكون الحسين عليه السلام - وهو واحد منهـم - أن لا يعرف شيئًا عن هذه الثورة، وعن مقتله مع أنه الإمام العالم المعصوم والمفترض الطاعة على جميع المسلمين.

التاريـخ يحدثنا عن عدة روايات عن الإمام الحسين عليه السلام يبين بها علمه بالشهادة والأرض التي يدفن فيها، منها:

---

(١) تاريخ ابن عساكر، ص٢٣٩، تحقيق: المحمودي، مؤسسة المحمودي، بيروت - لبنان.

١- قالت أم سلمه «مخاطبة الحسين عليه السلام»: لا تُحزِني بخروجك إلى العراق، فإنِّي سمعت جدَّك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء، وعندي تربتك في قارورة دفعها إليّ النبي صلى الله عليه وآله.

فقال الحسين: يا أمَّاه، وأنا أعلم أني مقتول مذبوح ظلمًا وعدوانًا، وقد شاء عز وجل أن يرى حرمي ورهطي مشردين، وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيدين وهم يستغيثون، فلا يجدون ناصرًا.

قالت أم سلمه: واعجبًا، فأنّى تذهب وأنت مقتول؟

قال عليه السلام: يا أماه، إن لم أذهب اليوم ذهبت غدًا وإن لم أذهب في غد ذهبت بعد غدٍ، وما من الموت والله بد، وأني لأعرف اليوم الذي أقتل فيه والساعة التي أقتل فيها، والحفرة التي أدفن فيها كما أعرفكِ، وأنظر إليها كما أنظر إليك.

وإنْ أحببت يا أمَّاه، أن أريك مضجعي، ومكان أصحابي، فطلبت منه ذلك، فأراها تربة أصحابه.[1]

وهذه الرواية واضحة فيما نحن فيه من علم الإمام عليه السلام بمقتله ومقتل أصحابه، وعلمه بالأرض التي يدفن فيها.

٢- خطبة الإمام عليه السلام في مكة حيث قال: «الحمد لله، وما شاء الله، ولا قوَّة إلا بالله، وصلَّى الله على رسوله، خُطَّ الموت على ولد آدم

(١) مدينة المعاجز، ص٢٤٤، ودار السلام للنوري، ج١، ص١٠٢.
وعن مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم، ص١٣٦، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، دار الثقافة، قم - إيران.

مَخَطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخِير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا، فيملأنَ منِّي أكراشًا جوفًا، وأجربة سغبًا، لا محيص عن يوم خطَّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، وهي مجموعة له من حضيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده، ألا مَن كان باذلًا فينا مهجته، موطِّنًا على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإني راحل مصبحًا إنْ شاء الله تعالى».[1]

إنَّ هذه الحوادث التاريخية التي حصلت للإمام الحسين عليه السلام تبين لنا علم الإمام بهذه الفاجعة الأليمة، بل ويعلم بتفاصيلها أكثر من أي شخصية أخرى على اعتبار أن علم الإمام عليه السلام علم لدنيّ رباني خاص، فكان يعلم بأصل الفاجعة، وكيفية قتله، ومكان مقتله، والحفرة التي يدفن فيها، وكذلك يعرف قاتله من خلال بعض التفاصيل التي كان يعرفها، وكان يعلم ماذا سيفعل القوم بأهله ونسائه وهو الذي قد أخبر أصحابه بمقتله ومقتلهم حيث قال: «إنِّي غدًا أقتل، وكلكم تقتلون معي، ولا يبقى منكم واحد[2]، حتى القاسم وعبد الله الرضيع إلا ولدي عليًّا زين العابدين؛ لأنَّ الله لم يقطع نسلي منه وهو أبو أئمة ثمانية».[3]

---

(١) اللهوف، ص٢٦، ابن طاووس، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، الطبعة الثانية.

(٢) نفس المهموم للشيخ عباس القمي، ص٢٢٢، الطبعة الأولى، دار المرتضى، بيروت - لبنان.

(٣) أسرار الشهادة، عن مقتل الحسين عليه السلام للمقرم، دار الثقافة، الطبعة الثانية.

قد ذكر ذلك الشيخ عباس القمي، عن السيد ابن طاووس في اللهوف بشكل مفصل، والنتيجة واحدة.

إنَّ الإمـام عليه السلام صرح في أكـثر من موقف، وبأكـثر من أسلوب بهـذه المسألـة القطعية سـواء في المدينـة أم في مكـة، أم في طريقه إلى الكوفـة، أم في كربلاء، وأنه عليه السلام على علـم ويقين بأنه مقتول في اليوم الموعود بأرض كربلاء.

النقطة الثانية

وهي جزء من التساؤل القائم على حركة الإمام عليه السلام وهو أنه لو سلمنا – كما يقول القائل –، وقلنا بعلم الإمام عليه السلام بمقتله واستشهاده، فلماذا أقدم الإمام على ذلك مع علمه؟

ولماذا لم يحاول إنقاذ نفسه، وأهل بيته، وأصحابه؟

ولماذا ذهب برجله إلى مستنقع الموت الذي من المفترض على كل عاقل أن يتجنبه ويتحاشاه؟

وبكلمـة واضحة :لماذا رمى بنفسه إلى التهلكة الممنوع منها بنص القـرآن الكـريم حيث قال تعـالى: ﴿... وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.[1]

أقـول: لـيس فـي إقـدام الإمـام الحسـين عليه السلام – بـل كل الأئـمـة عليهم السلام – على الشهادة إزهاق للنفس، وإلقاء النفس في التهلكة، وإن مثـل هذا المورد يجب على الإمام أن يستقبل الشهادة، وأن لا يتجنب هذا المستنقع – وهو ليس كذلك – لسبب بسيط جدًّا، وهو وجود المصلحة العليا؛ للدفاع عن بَيْضة الإسلام.

(١) البقرة:١٩٥.

بمعنى أنَّ النَّهي الوارد في الآية الشريفة بعدم إلقاء النفس إلى التهلكة، ووجوب حفظ النفس في حال عدم وجود مصلحة عليا وكبيرة وذات أهمية بالغة وهي فوق حفظ النفس ومرتبتها ومقامها أهم من وجود النفس وهي بَيْضَة الإسلام، والحفاظ على شريعة سيِّد المرسلين.

إنَّ جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، والصالحين من المؤمنين عليهم أن يدافعوا عن الدين الحنيف، وأن يوّطنوا أنفسهم على المصائب والبلايا، والقتل في سبيل الإسلام، ولذا نجد أن الأنبياء عليهم السلام والمرسلين يفدون بأنفسهم وأرواحهم؛ من أجل الدِّين، ومن أجل الإسلام، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد مدحهم، وأثنى عليهم، وعلى المؤمنين الذين يبذلون أنفسهم دون الدعوة الإلهية العظيمة، فقال تعالى في سورة التوبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾.[1]

إنَّ العقل يفرض هذا التصوّر في الدفاع عن الإسلام، وعن الوطن والنفس، ولا يُستهجن فاعله حتى لو علم بالموت المحتم، لذا يقول ابن العربي المالكي: جوّز بعض العلماء أن يحمل الرجل على الجيش العظيم طالبًا الشهادة، ولا يكون هذا من الإلقاء بالتهلكة؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[2].[3]

(١) التوبة: ١١١

(٢) البقرة: ٢٠٧

(٣) الأحكام لابن العربي ج١، ص٤٩.

نحـن في زماننا نرى الفـرد المؤمن، والرجل الثائر من حزب الله في لبنان، أو حركة حماس، أو الجهاد الإسلامي في فلسطين يفجر نفسه في صفـوف العدو الصهيوني ورجالاته، ويقتـل العديد منهم، فضلًا عن الجرحـى، ولا يوجـد أحد مـن العلماء مَن يقـول هو رمـي بالنفس إلى التهلكة، لأنَّ العقل فضلًا عن الشرع يؤيِّد ذلك، ولا يراه قبيحًا، لأنه دفاع عن الوطن والأرض، فما بالك لو كان ذلك دفاعًا عن بيضة الإسلام كما قـال سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام لمروان بن الحكم: «وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمَّة براعٍ مثل يزيد».[1]

إضافـةً إلى نكتـة مهمة في المقام، وهي: إن هـذه المصالح المهمة التـي نتكلم عنها والتي مـن المفروض أن يدركها النـاس، وتعرفها الفئة المؤمنـة التي تضحي؛ من أجل تلك المصالح الإلهية، تكون بعض الأحيان فوق طاقة الناس العاديـين، بل لا يدركون حقيقتها وكنهها، وهي خاصة بأهـل البيـت عليهم السلام، بمعنـى أن أهل البيـت عليهم السلام اختصـوا بكثير من الأمـور والقضايا التي لا يدركها الناس، ولا تصل عقول الأمَّة إلى كنهها وحقيقتها كالعصمـة - مثلًا -، والعلم والحلم والشجاعة التي لدى أهل البيـت عليهم السلام، وغيرها من الكمـالات النفسية، والفضائـل الإلهية التي يتحلـى بهـا الأئمَّة الهـادون الراشدون، وليـس معنى ذلـك سلب العلم والحلـم أو الشجاعـة عـن بقية النـاس والمجتمـع إلا أن العلـم والحلم وغيرها مـن الصفات والكمـالات النفسية قد وصلـت ذروتها عند أهل البيت عليهم السلام بفضل الله عزَّ وجلَّ.

(١) اللهوف، ص١٠ للسيد ابن طاووس، الطبعة الثانية، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف.

ومـن هذا المنطلق أدركـوا تلك المصالح العاليـة، والأحكام الناشئة عن تلك المصالح التي لا يدركها الناس.

فهـذا الإقـدام على الشهـادة من خـلال القتـل بالسيـف أو السم ناشـئ عن تلك المصالح والأحكام الإلهيـة الخاصة بأهل البيت عليهم السلام وما هـو إلا قبـول لقضـاء الله وقدره، وهو بمثابـة الأمر الوجـوبـي في حق أهل البيت عليهم السلام.

مـن هنا يتضح قول الرسول صلى الله عليه وآله للإمام الحسين عليه السلام في عالم الرؤيـا، عـندما كان الإمام عليه السلام على قـبر جـده: «لا بدَّ لك من الرجوع إلى الدنيـا حتـى تـرزق الشهادة، ومـا قد كتـب الله لك فيها مـن الثواب العظيم».[1]

وبعبـارة أخـرى: فكمـا أن الله عز وجل قـد فضل أهـل البيت عليهم السلام، وأطلعهـم علـى كل صغيرة وكبيرة ولم يجهلوا شيئًـا في حياتهم حتى ساعة المـوت، بـل وأطلعهم على ما كان ويكـون، فإنه تعالى قـد أطلعهم على تلك المصالـح الواقعيـة الخاصة بهـم والتي ليست مـن شأن النـاس، ولا يلزم النـاس معرفتهـا ومعرفة وجه الصـلاح أو الفساد فيهـا، وإنما هي أحكام خاصـة بعلَّام الغيوب وبمَـن أَذِن لهم بعلم ذلك الغيـب، والإحاطة به وهم أهل البيت عليهم السلام.

فهـذا الإقـدام على الموت «فيـا سيوف خذينـي» ليس انتحـارًا، ولا

---

(١) مثير الأحزان، ص٧.
ونفس المهموم للقمي، ص٧٣، الطبعة الأولى، دار المرتضى، بيروت - لبنان.

رميًا بالنفس إلى التهلكة، وإنما هو واجب مفروض على الإمام المعصوم عليه السلام باعتبار أن هناك أمرًا أهم ومصلحة أكبر تتحقق من خلال الشهادة التي يقدم عليها الإمام عليه السلام.

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «عجبتُ من قوم يتولّونا، ويجعلونا أئمة، ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يكسرون حجّتهم، ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فيُنقصونا حقنا، ويعيبون ذلك على مَن أعطاه الله برهان حق معرفتنا، والتسليم لأمرنا!

أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض، ويقطع عنهم مراد العلم فيما يرد عليهم، مما فيه قوام دينهم؟

فقال له حمران: جعلت فداك، أرأيت ما كان من أمر قيام علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام، وخروجهم وقيامهم بدين الله (عَزّ ذِكْرُه)، وما أصيبوا من قتل الطواغيت إياهم، والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: يا حمران، إن الله تبارك وتعالى قد كان قرر ذلك عليهم، وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار، ثم أجزاه فبتقدُّم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام عليٌّ والحسن والحسين عليهم السلام، وبعلم صمت من صمت منا.

ولـو أنهـم يا حمران، حيـث نزل بهم ما نزل من أمـر الله، وإظهار الطواغيـت عليهـم سألـوا الله ﷻ أن يدفع عنهم ذلـك، وألحّوا عليه في طلب إزالة ملك الطواغيـت وذهاب ملكهم، إذًا لأجابهم ودفع ذلك عنهم، ثـم كان انقضـاء مـدة الطواغيت وذهـاب ملكهم أسرع مـن سلك منظوم انقطـع فتبـدد، وما كان ذلك الـذي أصابهم يا حمران لذنـب اقترفوه، ولا لعقوبـة معصيـة خالفوا الله فيهـا، ولكن لمنـازل وكرامة مـن الله أراد أن يَبْلغوها، فلا تذهبن بك المذاهب فيهم».[1]

الروايـة واضحـة فيما نحن فيه مـن إقدام الإمـام الحسين عليه السلام على الشهادة مـع علمه بذلك، والإمام عليه السلام تبعًـا للسائل لم يذكر الإمام الحسـين عليه السلام وحدَه، وإنما ذكر أولًا أمـيرَ المؤمنين عليه السلام الذي كان يعلم بقاتلـه وهو عبد الرحمن بن ملجـم، ثم ذَكَر الحسن عليه السلام الذي كان يعلم بوجـود السم التي وضعتـه جعده بنت الأشعث، وبعـد ذلك الحسين عليه السلام الذي كان يعلم بشهادته، وقتله عطشانًا غريبًا.

وقد ذَكَر الإمام عليه السلام إن اختيارهم لهذا الطريق المعلوم في نتائجه؛ من أجـل أن يبلغوا تلك الدرجات والمقامات الإلهيـة الـفريدة التي خصها الله ﷻ لأهـل البيـت عليهم السلام ، حيـث قال الإمـام الباقـر عليه السلام لحمران: «ولكـن لمنازل، وكرامة من الله أراد أن يبلغوهـا»[2]، ولا يمكن الوصول إلى تلك المقامات الرفيعة، والدرجات العالية إلا من خلال هذا الطريق.

---

(١) أصول الكافي، ج١، ج٤، ص٣١٧، دار التعارف، بيروت - لبنان.

(٢) المصدر نفسه.

وقفة تأمل

مـن ضمن كلام الإمام الحسين عليه السلام لأم سلمه: «يا أمَّاه، إنْ لم أذهـب اليـوم ذهبت غدًا، وإنْ لم أذهب في غـد ذهبت بعد غد، وما من الموت والله بد ...».[1]

هـذه العبارة القصيرة يوجد فيها معانٍ، ودلالات عظيمة تستحق التأمـل فيهـا، والنظـر في معانيهـا، إلا أني سأذكرها بشـكل موجز من خلال نقاط:

الأولى: عامـل الاختيـار في الذهـاب والتحـرك ضد بنـي أمية، حيـث إنَّ تعبير الإمام عليه السلام: «لم أذهـب وذهبت» يشير إلى هذه النكتة العقائدية البديهيَّة التـي عليها قوام الإنسان في حياته كلها، وقد أشرت فيمـا سبق إلى هذه النكتة، وأنَّ الاختيار مـن النِّعم الإلهية علينا، فكان الإمام عليه السلام بيده توقيت الذهاب، وكيفية الذهاب، وأسلوبه، وطريقته، ومكانه، ولا يوجد مَن يُجبر الإمام عليه السلام على هذا الذهاب من عدمه.

الثانيـة: لا بديَّـة الموت، وحتميّته، وأن الموت حـق لا مفر منه وهو أمر غير اختياري، لأن توقيته بيد الله عزوجل.

وهنـا أحب أن أشير إلى نقطة مهمة جدًّا في هذا الصدد، وهي: إنَّ المـوت، وتوقيته، وكيفيته، والمكان الذي يمـوت فيه الإنسان كله بيد الله عزوجل لا دخل للإنسان فيه أصلًا.

أي أن الإنسـان بمـا هو إنسـان لا علم له بكل تلـك الأمور لا من

(١) مدينة المعاجز، ص٢٤٤، عن مقتل الحسين عليه السلام، السيد المقرم، دار الثقافة، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان.

قريب ولا من بعيد، فكم من إنسان يمشي في الطريق في حال سبيله قد سقط على الأرض ميتًا!

وكم من إنسان في جبهات الحرب والقتال على أشده من الرصاص، والقنابل، والدَّبابات، والطائرات، فلا يموت، ولكن إذا رجع إلى بيته؛ ليستريح قليلًا على الفراش، فيضع رأسه على الوسادة حتى تُسلّم الروح إلى بارئها!

وكم من إنسان يهرب من الموت المحتم؛ ليذهب إلى مكان هادئ إلا أنه تفارق روحه في ذلك المكان! قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.[1]

وقال: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[2]

نعم، يقوم الإنسان بفعل أمر ما وباختياره في طريقة الموت كأن يشنق نفسه، أو يرمي نفسه في الماء وهو لا يعرف السباحة فيموت غرقًا، أو يشرب السم، أو غير ذلك، إلا أن هذا لا ينافي ما قلناه من أنَّ ذلك كله بعلم الله تعالى، والوسيلة تكون باختيار الإنسان نفسه، ولذا قال تعالى في الإنسان: ﴿... وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ...﴾.[3]

فالموت أمر حتمي غير اختياري للإنسان، ولذا قال الإمام عليه السلام لأم سلمه: «وما من الموت والله بد».[4]

---

(١) الأنبياء: ٣٥.

(٢) الجمعة: ٨.

(٣) الأعراف: ١٨٨.

(٤) المصدر نفسه.

الثالثة: إنَّ هذه الحتمية الإلهية في مسألة الموت، وهذا العلم الإلهي الخاص به وَجَلَّ قد يطلع به أفراد يحبهم ويحبونه، يودهم ويودونه، فيعلمهم كيفية الموت، وتوقيت الموت، والمكان الذي يموتون فيه، ومَن الذي يقتلهم إن كانوا سيقتلون، ولا مانع من ذلك لا عقلًا ولا شرعًا، بل قام الدليل على جواز ذلك وإمكانه، بل وقوعه مع أن الوقوع خير دليل على الإمكان.

من هنا تقدم توضيح بعض هذا الأمر من خلال علم أهل البيت عليهم السلام بمقتل الإمام الحسين عليه السلام، ومكان الوقوع، وكيفيته، والكثير من التفاصيل في هذه الواقعة الأليمة، ولذا ندَّعي أن هناك استثناء من عدم علم الناس بالموت في توقيته وكيفيته، وكل ما يرتبط به، وهذا الاستثناء شامل لأهل البيت عليهم السلام المعصومين عن الزلل والخطأ.

الرابعة: إنَّ اطلاعهم عليهم السلام على ذلك، وعلمهم بالغيب بما كان وما يكون.

أو بتعبير آخر - كما يريد البعض -: إحاطتهم بالمغيَّبات الخاصة على الناس، كان ذلك لعظمتهم، ومكانتهم المقدّسة التي خصهم الله وَجَلَّ بها، ولما يملكون من فيوضات إلهية خاصة كسبتهم القدرة والصبر والتحمل فضلًا عن الصفات الأخرى، ولذا فإن هذا العلم بالغيب لا لأجل أن يدفعوا عنهم هذا البلاء وهذه المصائب، ولا لأجل أن يدفعوا عنهم هذا الموت المحتّم الذي قال فيه تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ... ﴾[1]، ولا لأجل أن يدفعوا عن أنفسهم تلك الطريقة

(١) آل عمران: ١٨٥.

التـي سوف يموتون بهـا، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ذلـك التوقيت الزمني للمـوت، ولا لأي شيئ آخر يرتبط بالموت، وإنما كما ذكرت الرواية لمنزلتهم ومكانتهم.

بـل إنَّ علمهم بذلك، وإحاطتهم بكل تلك التفاصيل المؤلمة والحزينة والمفجعـة، مع إقدامهم، وعدم هروبهـم وتراجعهم عن تلك الأحداث يزيد من قدسيتهم وعظمتهم ومنزلتهم المقدسة، فهي نقطة إيجابية لهم عليهم السلام لا أنها سلبية حتى يقال: هو رَمْي بالنفس إلى التهلكة.

السؤال السابع

هل استعمل الإمام الحسين عليه السلام أساسيَّات الحوار؟

هناك أهمية بالغة لمسألة الحوار بين الأطراف المختلفة في أي قضية وأي موقـع، والإسلام قد أكد علـى هذا الأصل تأكيدًا بالغًا ومنقطع النظير من خلال القرآن الكريم، فما هي أساسيات الحوار الإسلامي؟

ولمـاذا الإمام الحسـين عليه السلام لم يستخدم هذا الأصـل مع يزيد بن معاويـة حيث إنَّ الإمام عليه السلام مباشرة قـال: «إنَّ يزيد رجل شارب الخمر، قاتـل النفس المحترمة، معلـن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثلـه»[1]، فلماذا لم يستخـدم الإمـام عليه السلام هـذا الأصل، والجلوس مع زعماء بنـي أمية على طاولة الحوار؟

مـن الأمـور المهمة في الشريعـة الإسلاميـة والتي تعتبرهـا المسألة الأولى في طـرح الأنبياء عليهم السلام والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى هي قضية

(١) بحـار الأنـوار، ٤٤ / ٣٢٥، العلامـة المجلسـي، تحقيق: محمـد الباقر البهبـودي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

الحوار، فهو ذو أهميــة بالغة في الإسلام، حيث تتجلَّي الكثير من الأمور الغامضة أو العالقة لدى أي طرف أو جهة.

هنــاك الكثــير مــن الاشتباهــات والاعتقــادات الخاطئــة التي يتصورهــا أي طرف على آخر، لا ترتفــع إلا من خلال الحوار، بل أعتقد أن الحــوار ذو أهمية بالغة؛ للتقــارب الفكري والسياســي والاجتماعي، وحتــى تقارب الأديان والمذاهب، فما يسمى بصراع الحضارات، أو حوار الحضارات نابــع من الأهمية المكنونة في قضية الحوار، وبالتالي ستكون الكفة الراجحة هي الحوار لا الصراع.

لا يوجــد في قاموس الإسلام سد بــاب الحوار، بل الحوار مفتوح دائمًــا للباحثين عن الحقيقة، أو مَن يريــد إيصال الحقيقة إلى الطرف الآخر، أو لأي سبب كان.

غايــة الأمر: إنَّ هناك بعض المفــردات الأساس في قضية الحوار يجب أن نقف عندها ولو بشكل مختصر:

المفــردة الأولى: الوصول إلى الحق والحقيقة، بحيث يكون الدافع الأساســ للحوار هــو الوصول إلى الحقيقــة التي يجــب اتِّباعها حتى لو ظهــرت على يد الخصم، وبالتالي تأتي أهميــة الإذعان للحق والحقيقة بعيدًا عن التَّعصُّب، والغرور، والتكبر على الحق.

وللأســف الكبير: إنَّ بعض الحوارات لا تنطلق من هذا المنطلق، وإنمــا تنطلق من خــلال التَّعصب إلى الرأي الخاصــ به، وكونه صاحب الحــق وأنه لــن يتنازل عنه مهما كانت نتيجة الحــوار، من هنا فإن أكثر حواراتنا مكتوب عليها الفشل إلا ما شذ وندر لا سيما في الحوار المفتوح،

وأمـام الناس من خلال الحديث أو المقال؛ لأنَّ الدافع في هذه الحوارات هو التغلب على الطرف المقابل بأي طريقة كانت لا لأجل الوصول إلى الحقيقة.

المفـردة الثانية: الحوار بالتي هي أحسن، وهي من الركائز الأساس في الحـوار الإسلامـي، وقد أكَّـد الإسلام هـذه الروح الأخلاقيـة في أثناء الحـوار من خلال الحديـث المباشر أو الكتابة، قال تعـالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَـن ضَلَّ عَـن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِيـنَ﴾[1]، أي حاورهم، وناقشهم من خلال التحلي بالصفـات الأخلاقية الحسنة من الالتزام بالصدق والأمانة في الحديث، والاحترام للـرأي الآخر وتقديره لا سيما داخل الفكر الديني، بعيـدًا عن الصفـات السيئة كالسخريـة، والسب، والشماتـة، والاستهزاء، والاستعلاء، والنفاق، وغيرها؛ لأن هذه الأمور لا توصل المحاور إلى النتيجة التـي يتوخَّاها من خلال الحوار، لذلك فـإن الحوار الهادئ هو الذي يجعل الفكرة تستقر، والكلمة تسمع، والنفس تستكين.

مـن هنا نجـد القرآن الكريم قـد ارتكز على هذا المبـدأ في دعوته للإسـلام بعيـدًا عـن التشنـج والعصبيـة، فـالله تعـالى يخاطـب النَّبي موسى عليه السلام في فرعون حيث قال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[2] حيث إنَّ الطاغية يجب أن يواجه لكن بالأسلوب الهادئ الذي لا يثير الطرف المقابل فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.[3]

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) طه: ٤٣.

(٣) طه: ٤٤.

المفـردة الثالثـة: احـترام الطـرف المقابـل مـع مراعـاة شأنـه الاجتماعـي، ومركـزه العلمي، ليس معنـى ذلك عدم الحـوار معهم في مختلـف القضايا والأمـور بل يجـب في أثناء الحوار ملاحظـة المستوى العلمي ومركزه الاجتماعـي لا سيما إذا كان الطرف المقابل أقل مستوى من الآخـر، فالتلميذ يجب أن يحترم الأستاذ في الحوار، والجاهل يجب أن يحـترم العالم، والعادي يجب أن يحـترم رجل الدِّين، والمجتمع يجب أن يحـترم الفقهاء والمراجـع العظام وهكذا، فهي قضيـة بديهيَّة عقليَّة إلا مَـن حاول أن يستعلي على مثل هذه القضايا الواضحة حتى لدى غير الإسلاميِّين فضلًا عن الرجل الإسلامي لا سيما المتديِّن.

توجـد العديد من المفردات التي يجب مراعاتها في الحوار بشكل عام لا سيما الحوار في داخل الصف الإسلامي.

إنَّـنـا بحاجـة ماسَّـة إلى تأصيل هـذه الـروح الإسـلامية في حواراتنا - حديثًا، وكتابة - مع بعضنا البعض.

السـؤال الكبير الذي يطـرح نفسه: إذا افتقد الحـوار - حديثًا، وكتابة - إلى هذه المفـردات الأساس من قبل بعض الأفراد هنا وهناك، فهـل من الفائـدة أو الصـلاح أن يدخل الطـرف الآخر معـه في حوار، والحـال أنه لا يريد أن يصـل إلى الحقيقة، ولا حتى معرفتها، ولا يحاور بعيـدًا عن الشتم والتحقير والجرح والتصغير للطرف المقابل، بل وليس لديه ألف باء الحوار أصلًا؟

قطعًا مثل هذا الحوار فاشل وعقيم والدخول فيه مضيعة للوقت، ولذا - كمثال - لما كان أمير المؤمنين عليه السلام في خطاب له بمسجد الكوفة، واعترض عليه ابن الأشعث، قال له الإمام: اسكت ما يدريك ما لك وما عليك.

أتمنى من كل قلبي لمن يريد أن يطرح قضية من هنا وكلمة من هناك أن يراعي هذه المفردات فضلاً عن التقوى والصدق والأمانة في كل ما يقوله، أو يكتبه.

من هنا وهناك تعرف لماذا الإمام الحسين عليه السلام لم يستخدم الحوار مع بني أمية، بل مع يزيد بن معاوية بشكل خاص، ولم يستخدم اللين مع يزيد، ولا الأسلوب الهادئ، وإنما استخدم أسلوب المواجهة، والإثارة، والتحدي.

لا شك أنَّ أول عبارة أطلقها الإمام الحسين عليه السلام في حكومة يزيد هي قوله عليه السلام: «أيُّها الأمير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا يختم، ويزيد رجل شارب الخمور، وقاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله ...»[1] كلمة تحمل معاني عظيمة، وأبعادًا حقيقية عن يزيد، ربما الكثير من الناس لا يعرفونها عنه آنذاك، كذلك فيها إثارة ومواجهة وتحدٍّ للطرف المقابل، فلم يطلب الإمام الحسين عليه السلام الجلوس على طاولة الحوار، ولم يطلب النقاش في هذه المسألة، بل وكأن القضية محسومة عند الإمام عليه السلام في الرفض والمواجهة والثورة.

---

(١) ذُكر المصدر سابقًا، فراجع.

ليس السبب كون الإمام الحسين عليه السلام لا يؤمن بمسألة الحوار مع الطرف المقابل، كيف يكون ذلك والإمام في مقام الرسول من جهة التبليغ والإرشاد والنُّصح، والإمام الحسين عليه السلام هو العارف والعالم والمعصوم الذي لا يحتاج إلى توجيه الموجّهين، وإرشاد المرشدين في مثل هذه المسائل الرئيسة في الشريعة الإسلامية.

وإنما السبب في ذلك أن يزيد بن معاوية لا تتوفر فيه أي صفة من الصفات النَّبيلة للحوار، فلا الصدق ولا الأمانة، ولا طلب الحقيقة، ولا احترام الطرف الآخر في الحوار، ولا أي أمر من الأمور الأساس في الإنسان المحاور، وكان الإمام عليه السلام يعلم بذلك، ومن لم تتوافر فيه مثل هذه الصفات لا يصلح للحوار، بل لا بد من اختصار الطريق على الأمَّة.

ألف باء الحوار لا توجد في شخصية يزيد بن معاوية، ولا يمكن أن يكون الحوار من طرف واحد، والدليل على ذلك ما تقدم من الكلام بالنسبة إلى يزيد حيث بعث إلى والي المدينة بأخذ البيعة من الحسين بن علي وإنْ أبى فليضرب عنقه.[1]

لم تكن تربية يزيد بن معاوية تربية إسلامية، ولم يتربَّ على النهج الإسلامي، وإنما تربى على النهج المسيحي، فأخذ أفكارًا، وعادات، وتقاليد النهج المسيحي حتى نشأ نشأة مسيحية أبعدته كثيرًا عن عرف الإسلام.

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢/٢٤١، نشر دار صادر، بيروت - لبنان.
ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، ص٢٦٢، دار الحوراء، بيروت - لبنان.

وبالتالي مـن غير المستغرب أن يكون متجـاوزًا، مستهترًا، مستخفًّا بمـا عليه الجماعة الإسلامية، فلا يحسب لتقاليدها واعتقاداتها وأفكارها أي حسـاب، ولا يقيم لها وزنًا، ولا يعتـبر لـهـا أي اعتبار، فلا يأبه للدِّين، ولا للأعراف الاجتماعية فـكـان متهتكًا في معاصيه، مستخفًا بـأحـكـام الله ﷻ، مجاهـرًا بمعاصي الله ﷻ، معروفًا بشرب الخمر أمام الناس بدون أي تحفظ يُذكر.

لمـا أراد معاوية أن يأخذ البيعـة ليزيد من الناس، طلب من زياد بن أبيـه أن يأخذ بيعـة المسلمين في البصرة، فكان جواب زيـاد له: «فما يقول النـاس إذا دعوناهـم إلى بيعة يزيد وهـو يلعب بالكلاب والقـرود، ويلبس المصبّغ، ويُدمن الشراب، ويمشي على الدفوف ...».[1]

وقـال ابن كثير في تاريخه: «اشتهر بالمعازف، وشرب الخمر والغناء والصيـد، واتخاذ الغلمان والقِيان والكلاب والنطـاح بين الكباش والدباب والقرود، وما من يوم إلا ويصبح فيه مخمورًا».[2]

إنَّ يزيـد بـن معاوية معـروف بفسقه، وفجـوره، وشربـه، للخمور، والتجاهر بذلك.

إضافـةً إلى نكتـة مهمـة في يزيد وهـي الحالة الإلحاديـة حيث إنَّ أمـره واضـح وأجلى من غـيره من بني أميـة، وكانت هـذه الحالة الخبيثة مـن السمات البارزة في شخصيتـه، وقد تنقلت على فلتـات لسانه أحيانًا،

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢/٢٢٠، نشر دار صادر، بيروت - لبنان.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي٢:٢٥٨، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.

وتطفـح على مواقفه وأحاديثه وكلماته أحيانًا أخرى، ومن أفظع المواقف وأوضحهـا التي انكشف فيهـا رسوخ هذه النزعـة الإلحادية الخبيثة في نفسـ يزيد، وتجلّت واضحة لدى كل أربـاب التأريخ هي نكثه بالخيزران على رأسـ الحسين الشريف عندما أحضر بمجلسـه، وكان مجلسه يوم ذاك حاشـدًا بوجوه الشام الذين جاؤوا؛ ليشهـدوا انتصارات الخليفة، فكشف عن ثنايا رأس الحسين بقضيبه، وأنشد شعره، وقال:

ليت أشـياخي ببدر شـهدوا جـزعَ الخزرج من وقع الأسلْ
لأهلّوا واستهلّوا فـرحًا ثـم قالوا يا يزيد لا تُشل
لست من عتبة إنْ لم أنتقم مـن بني أحمد ما كان فعل
لعـبت هـاشم بالـملك فلاخبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

وهـذا كاشف عن كفـره، وإلحاده، وعدائـه لرسول الله صلى الله عليه وآله، وافتخـاره بانتمائه إلى الجاهلية البغيضـة، وإلى حركة الشرك والنفاق المشؤومة.

وبشـكل عـام: إنَّ الأسلـوب الوحيـد الـذي كان علـى الإمـام الحسـين عليه السلام أن يتبعه هو أسلوب الثـورة، والمواجهة، والرفض المطلق ليزيد بـن معاوية وأتباعه من المتسلطين على خـيرات الأمَّة الإسلامية، فأطلـق الإمـام عليه السلام كلماته المدوّيـة الثورية الجهاديـة المشعّة والنيّرة لـكل الأجيال القادمة حيث قال: «ألا وإنَّ الدَّعـي ابن الدعي قد ركز بين اثنتـين بين السِّلة والذِّلة، وهيهات منَّـا الذِّلَّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله

والمؤمنــون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميَّــة، ونفوس أبيَّة من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام». [1]

إنَّ الحــوار قضيــةٌ أساســ، لكن يجــب أن تتوافر صفــات معينة في أطــراف الحوار ويزيد ليس فيه صفة واحدة؛ مــن أجل ذلك الحوار فضلًا عن الصفة الإلحادية التي مرت عليك عزيزي القارئ.

مــن هذا المنطلــق لم يجد الإمــام الحسين عليه السلام بُدًّا مــن المواجهة والثورة، بعيدًا عن الحوار الذي لا يعترف به يزيد بن معاوية.

(١) مــن خطبــة الإمــام الحسين عليه السلام مقتــل الحسين عليه السلام للمقــرم ٢٣٤، الطبعة الثانيــة ١٤١١هـ، دار الثقافة، قم - إيران.